

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية  
قسم الفلسفة

# التصوف عند أبي مدين شعيب

مذكرة مكملة من مقتضيات نيل شهادة الماستر في الفلسفة تخصص : فلسفة عامة

إشراف الأستاذ (ة) :

د. مسالتي عبد المجيد

إعداد الطالب (ة) :

مكي أسية

السنة الجامعية :

2025/2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



Faculty of Humanities and Social Sciences  
Vice-Deanship of the College for Studies and  
Student Issues

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية  
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة  
الرقم: 2024/

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): مكي آسية

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة ماستر

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 11.000.1.165.013.09.00.03

الصادرة بتاريخ: عن دائرة: رأس الوادي

المسجل(ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية العلوم الإنسانية (فلسفة)

تخصص: فلسفة عامة تحت رقم التسجيل: 33044562

والمكلف بإنجاز اعمال بحث( مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه).

عنوانها: التصوف عند أبي مدين تشيبي

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة

03 جوان 2025

الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المعني  
30 جوان 2025  
ويعتبر من المنهج العلمي للجلس الشعبي البلدي  
ويعتبر من المنهج العلمي للجلس الشعبي البلدي  
ويعتبر من المنهج العلمي للجلس الشعبي البلدي

المسيلة في: 03 جوان 2025

امضاء المعني (ة): [Signature]

المرجع: القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.



وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: التصوف عند أبي عبد الله بن شُعيب

إعداد الطلبة:

1- رقم التسجيل: 33044562  
2- رقم التسجيل:

القسم: الفلسفة الشعبية، الفلسفة التخصص: فلسفة عامة  
إشراف: أ. د. مسالمة عبد المجيد الرتبة: أستاذ التعليم العالي

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي 2024-2025 وأسمح بإيداعه على مستوى إدارة القسم للمناقشة والتقييم.

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم



د. ارفيس علي

موافقة وامضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

البروفيسور  
ع. مسالمة

صوافق

## الإهداء:

إلى من كانت حضن الأمان الأول، إلى من تعبت كي أرتاح، وضحت كي أبتسم...  
إلى أمي العزيزة:

يا أغلى نعمة وهبني الله إياها، يا نور قلبي، ويا مصدر صبري في كل محنة.  
يا من ذبلت عينك لأجل أن تشرق عيناى، واتحنى ظهرك ليشتد ظهري، يا من خبأت دموعك  
خلف ابتسامة كي لا أضعف، ومسحت عني حزني كي لا أنكسر...  
أمي كل نجاح حققته أنت أحق الناس به. فأنت من غرست في الصبر، ومنحتني الإيمان حين  
شح من حولي. أنت التي لم تطليبي يوما شكرا، ولم تنتظري يوما مقابلا. لكنني اليوم أقف فخورة  
بك، ممتنة لك، مدركة أن لا حروفي، ولا عمري، ولا كل ما أملك يوفيك حقا.  
أنت أعظم نعمة، وأجمل دعوة، وأصدق حب.

وإلى أبي الغالي:

عزوتي وفخري وسندي، شكرا لك على صبرك وعلى دفع دعواتك  
التي كانت تصلني قبل كلماتك، فكنت أرى الاطمئنان في عينيك كلما شعرت بالضعف.  
وها أنا اليوم أهديك ثمرة جهدي عرفانا وتقديرا. ولك كل الفخر، وكل المحبة.

وإلى أخي العزيز وليد:

يا منكنت لي أكثر من أخ... لك وحدك أكتب هذه الكلمات  
وعيناى تملؤهما دموع الامتنان... لو كان للوفاء عنوان، لكنت أنت  
ياعزيزي. هذا النجاح اليوم ليس لي وحدي، بل هو لك قبلي، ولكل خطوة خطوتها بجانبني  
دون أن تنتظر شكرا أو مقابلا.

وإلى عائلتي الحبيبة:

أنتم النبض الذي أحيا به، والفرح الذي أتزود به في دربي. لكم جميعا أهدي هذا النجاح  
الذي أنتم أساسه.

وإلى صديقاتي العزيزات، رفيقات الدرب وأصحاب القلب الأبيض، لكل واحدة منكن  
ذكرى جميلة تركت في قلبي أثرا لا ينسى.

وأخيرا، كل الشكر والتقدير لأستاذي المشرف مسألتي عبد المجيد، الذي كان النبراس  
الذي أنار لي الطريق والداعم الحكيم الذي وجهني بصبر وإخلاص حتى  
بلغت محطتي هذه.

جزاكم الله خير الجزاء عني.

2025

# شكرتكم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وله الحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى التوفيق في كل خطوة خطتها هذا البحث.

أرفع أسمى آيات الشكر والامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور مسالتي عبد المجيد، الذي كان دليلاً في درب البحث، ونبراساً من نور في ليالي الصيرة والتساؤل، فله مني كل الامتنان لما بذله من جهد وتوجيه.

ولا يفوتني أن أهني أساتذتي الكرام الذين شكلوا في وعيي أسس الفهم والبصيرة، وكانوا عوناً في رحلتي الأكاديمية.

كما أتوجه بجزيل الشكر والامتنان للأستاذ الفاضل محمد بومدين، على مجهوداته القيمة ودعمه المستمر، فقد كان سنداً مشجعاً في مراحل إعداد هذه المذكرة.

فله كل التقدير والعرفان.

أما أهني وليد، فالكلمات لا تفيه، ولا الحروف تسعه...

هو النبض حين خفت النبض، هو اليد التي امتدت كلما تعثرت، هو الصبر حين تهاوى صبري، هو الرفيق في أول الطريق وآخره...

كان عكازي حين أنهكني الدرب، وظلي حين لفني التعب.

فلك يا وليد، من القلب ألف شكر، ومن الروح ألف دعاء، ومن عمق الذاكرة وعد لا يزول.

ولكل من كان معي فالخفاء، للذين آمنوا بي بصمت، ورفعوني بدعوة، وساندوني بكلمة، خالص الامتنان والتقدير، فقد كنتم النور في عتمة الطريق.



## مقدمة :

يعدّ التصوف من أبرز الظواهر الدينية والفكرية التي عرفها العالم الإسلامي، حيث مثل منذ بداياته فضاءً روحياً عميقاً جذب عدداً كبيراً من العلماء والزهاد الذين كرّسوا حياتهم لتهديب النفس والسعي إلى التقرب من الله.

ومن بين أهم أعلام التصوف الذين تركوا أثراً بالغاً في الفكر الصوفي بالمغرب الإسلامي، يبرز اسم أبي مدين شعيب الغوث، الذي يُعدّ من أبرز رموز التصوف في القرن السادس الهجري، جامعاً بين عمق التجربة الروحية وقوة التأثير التربوي في أتباعه وتلامذته .

وقد جاء اختياري لموضوع "التصوف عند أبي مدين شعيب" بدافع رغبة شخصية في فهم الأبعاد الروحية التي طبعت شخصية هذا العارف بالله، لاسيما وأنه خلف بصمة واضحة في المدارس الصوفية اللاحقة. ورأيت في هذا الموضوع فرصة مناسبة للغوص في التصوف السني، واستكشاف سيرة أحد أبرز أعلامه، بما ينسجم مع ميولي الفكرية والروحية، لا سيما باعتباره ممارسة تأملية وسلوكاً أخلاقياً راقياً .

ومن الأسباب الذاتية: ينبع لإختياري لهذا الموضوع هي دوافع ذاتية عميقة، من أبرزها اهتمامي الشخصي بالمجالات الفكرية والروحية التي تُبرز البعد الإنساني العميق في الإسلام، وسعبي لفهم الجوانب الإيمانية التي تركز على الجوهر والباطن، بدلاً من المظاهر الشكلية. لطالما وجدتُ في التصوف، لا سيما في تجارب أعلامه الصادقين كأبي مدين، بُعداً يلامس الروح ويهذب السلوك، ويمنح رؤية أعمق للحياة وعلاقة الإنسان برّبّه. هذا التوجّه دفعني للبحث في سيرة شخصية ذات تأثير بارز في الفكر الصوفي، فوجدت في أبي مدين مثلاً حياً للعارف بالله الذي لا تزال تعاليمه تلهم الباحثين والمريدين حتى اليوم .

أما الأسباب الموضوعية: تظهر أهمية هذا الموضوع كذلك، لكونه يعالج مرحلة مفصلية من تاريخ المغرب الإسلامي، حيث اضطلع التصوف بدورٍ مهم في تهذيب النفوس وتحقيق التوازن الروحي داخل المجتمعات. كما أن شخصية أبي مدين ما زالت تحظى باهتمام الباحثين نظراً لما تتضمنه من إشراقات معرفية وسلوكية تسهم في إثراء الفكر الصوفي المعاصر.

بناءً على ما سبق، تتحدد الإشكالية الأساسية لهذا البحث في السؤال التالي: كيف تجلت ملامح التصوف في شخصية أبي مدين شعيب، وما الأبعاد الفكرية والروحية التي ميّزت تجربته الصوفية؟

ويندرج ضمن هذه الإشكالية عدد من الأسئلة الفرعية التي سيتم تناولها عبر فصول البحث، وهي :

- ما السياق العام الذي نشأ فيه أبو مدين شعيب؟
  - ما هي المصادر الفكرية والروحية التي تأثر بها؟
  - كيف تبلور مفهوم التصوف لديه؟
  - ما أثره في الفكر الصوفي المغربي والأندلسي؟
  - كيف جسّد تجربته الصوفية من الناحيتين العملية والسلوكية؟
- وللإجابة عن هذه الإشكالية والمشكلات المتفرعة عليها تم تقسيم المذكرة إلى ثلاثة فصول، يضم كل فصل مجموعة من المباحث وكانت كما يلي :

## الفصل الأول: مدخل حول أبي مدين شعيب

المبحث الأول: مولده والظروف السياسية والدينية والثقافية لنشأته

**المبحث الثاني:** مشايخه ومصادره الفكرية، مع التركيز على الطريقة القادرية  
(عبد القادر الجيلاني)

**المبحث الثالث:** أهم مؤلفاته

## **الفصل الثاني: الصوفية والتصوف عند أبي مدين شعيب**

**المبحث الأول:** مفهوم التصوف عند أبي مدين شعيب الغوث

**المبحث الثاني:** سبل تأثير التصوف عليه

**المبحث الثالث:** الأسس الروحية التي دعا إليها (كالزهد، الطهارة الروحية، الفكر  
والتأمل)

## **الفصل الثالث: الصوفية بين الفكر والممارسة عند أبي مدين شعيب**

**المبحث الأول:** ممارساته الروحية اليومية

**المبحث الثاني:** تعاليمه في العلاقة مع الله

**المبحث الثالث:** إمتداد تأثيره على الأجيال اللاحقة

### **الصعوبات التي واجهتها :**

أثناء إعداد هذه المذكرة، واجهتني عدة صعوبات ذات طابع منهجي ومعرفي  
تطلبت مني جهدًا مضاعفًا لتجاوزها. من أبرز هذه التحديات قلة المصادر والمراجع التي  
تناولت شخصية أبي مدين شعيب بشكل مفصل أو مخصص، إذ غالبًا ما يُذكر اسمه  
ضمن كتب التراجم العامة أو في سياق الحديث عن التصوف دون تسليط كافٍ للضوء  
على فكره ومسيرته الروحية.

وقد دفعني هذا النقص إلى التعمق في البحث بين المصادر التراثية المتفرقة، والتنقيب في بطون الكتب القديمة، إلى جانب الرجوع إلى الدراسات الحديثة المحدودة التي تناولت تجربته الصوفية. بالإضافة إلى ذلك، شكّل الطابع الروحي والفلسفي لموضوع التصوف عامة، وتجربة أبي مدين على وجه الخصوص، تحديًا آخر. ففهم المفاهيم الصوفية لا يقتصر على إدراك لغوي سطحي، بل يتطلب فهماً دقيقاً للسياقات الدينية والثقافية التي نشأت فيها، واستيعاباً لما تحمله من دلالات رمزية وإشارية عميقة. ولعل هذه البنية الرمزية المتداخلة للمفاهيم الصوفية زادت من تعقيد العمل الأكاديمي وجعلت مهمة تحليلها أكثر دقة وحذرًا. كما واجهت بعض الإشكالات في الربط بين حياة أبي مدين كشخصية متصوفة وتجربته الذاتية، وبين تأثيره الأوسع على التيارات والمدارس الصوفية التي جاءت بعده، مما استدعى اعتماد قراءة تحليلية نقدية للنصوص التي تناولته بشكل مباشر أو غير مباشر، لاستجلاء معالم الأثر الذي تركه في محيطه الروحي والفكري .

آفاق إنجاز المذكرة :على الرغم من تلك الصعوبات، فإن الانتهاء من هذه المذكرة يُمثّل خطوة أولى نحو آفاق بحثية أرحب، لا سيما في مجال الفكر الصوفي في المغرب الإسلامي، وما يرتبط به من تجارب غنية ومتشعبة في الأندلس والمغرب العربي. فقد أتاح لي هذا العمل فرصة التعمق في جانب مهم من التراث الروحي الإسلامي، كما حفّزني على استكشاف شخصيات صوفية أخرى تركت بصمات واضحة في هذا المسار .وقد ساعدني هذا البحث أيضًا في إدراك أن التصوف لا يمكن النظر إليه كمجرد تيار فكري أو ديني، بل هو في جوهره مشروع وجودي وأخلاقي يسعى إلى تهذيب النفس وتعميق الوعي بعلاقة الإنسان بربه. وهو ما يمنح هذا المجال البحثي قيمة تربوية وروحية تتجاوز الإطار النظري لتصل إلى بعدٍ عملي وسلوكي. من هنا، فقد زوّدتني هذه التجربة بأدوات معرفية ومنهجية يمكن الاستفادة منها مستقبلاً في بحوث أخرى سواء في حقل التصوف أو في مجالات الدراسات الإسلامية والفكرية بشكل عام .

وباختصار، فإن هذه المذكرة لم تكن مجرد دراسة أكاديمية عن شخصية أبي مدين شعيب، بل شكلت بالنسبة لي تجربة غنية على المستويين الفكري والروحي، رسخت في داخلي قناعة بأن التصوف يُعدّ من أبرز المفاتيح لفهم العمق الإنساني للإسلام، ولرؤية الدين كمنهج حياة متكامل يجمع بين التأمل والممارسة، وبين الإخلاص والسلوك .



الفصل الأول : مدخل حول أبي مدين شعيب الغوث وظروف نشأته

المبحث الأول : مولده والظروف العامة لنشأته

✚ مولد أبي مدين شعيب

✚ الظروف العامة لنشأة أبي مدين شعيب

✚ الظروف السياسية

✚ الظروف الثقافية والفكرية

✚ الأوضاع الدينية

المبحث الثاني : مشايخه ومصادره الفكرية

✚ مشايخه

✚ مصادره الفكرية (عبد القادر الجيلاني)

المبحث الثالث : مؤلفات أبي مدين شعيب

## الفصل الأول: مدخل حول أبي مدين شعيب الغوث وظروف نشأته

أبو مدين شعيب الغوث هو أحد أعلام التصوف\* في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط ولد في مدينة إشبيلية بالأندلس في ظروف سياسية واجتماعية مضطربة بسبب الصراع بين المرابطين والموحدين. نشأ في بيئة دينية وعلمية، لكنه هاجر إلى المشرق بحثاً عن العلم، حيث تتلمذ على يد كبار الشيوخ، بعد عودته، استقر ببجاية و أصبح من أشهر شيوخ التصوف، حيث نشر تعاليم الزهد و التقوى، وكان له تأثيراً كبيراً على الفكر الصوفي في المنطقة .

كيف أثرت الظروف الاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها على تكوينه العلمي والصوفي؟

### المبحث الأول: مولده و الظروف العامة لنشأته

#### 1 /مولد أبي مدين شعيب:

" إنه شعيب بن حسين الأنصاري ، أصله من الأندلس من حصن قطنيانة وهي قرية تابعة لإشبيلية " <sup>1</sup>

ولد أبي مدين شعيب حوالي سنة خمس مائة وتسعة هجري على الأرجح ، وكان كثير التردد على إفريقية " استقر ببجاية ، أقام بها إلى أن أمر بأشخاصه إلى حضرة مراکش " <sup>2</sup>

ولنعد إلى الغاية في ذكر شيخنا والتعريف به فأقول أن الشيخ العارف المحقق القطب الفريد أو الواحد أبا مدين . نفع الله به كان من كبار أهل التصوف والعلم ، اشتهر بزهده

<sup>1</sup> عبد الحليم محمود شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث حياته ومراحجه إلى الله دار المعارف كورنيش النيل -القاهرة- 1119ص23

<sup>2</sup> - أبي مدين شعيب، ديوان أبي مدين شعيب الغوث، تح عبد القادر سعود - سليمان القرشي، كتاب ناشرون، بيروت لبنان، ط1 1432هـ، 2011م

ومعارفه الروحية العميقة، فكان مثلاً للعابد المتحقق الذي انتفع الناس بعلمه و أحواله ، وتأثر به كثير من السالكين في طريق التصوف بعد وفاة والده، أوكل إليه إخوته رعاية مواشيهم لكونه أصغرهم سناً ، فكان يخرج بها إلى المرعى وعندما كان يشاهد شخصاً يصلي أو يقرأ القرآن ، كان يقترب منه ، ويشعر بحزن عميق لعدم تمكنه من فعل الشيء نفسه. فكان يحدث إخوته عما يشعر به، فينهونه ويدفعوه إلى الاهتمام برعاية المواشي ، مما زاد حزنه و ألمه . "لذلك قويت عزمته على سلوك هذه المسالك."<sup>1</sup>

فترك رعاية المواشي وهرب سعياً وراء ما انجذبت إليه نفسه، بفضل و توفيق من الله. بعد أن خاض في مختلف الأحوال خوضاً عميقاً ، واستقى من المعارف أسرارها ، ولا سيما مقام التوكل، الذي بلغ فيه منزله لا يجارى فيها ولا تحفى دقائقه ، كان واسع العلم ، شديد المراقبة متوجه القلب إلى الله تعالى في كل لحظة ، حتى ختم الله له بذلك . توفي أثناء توجهه إلى بجاية في موضع يسر ، وهو واد قريب من تلمسان، وذلك سنة خمس مائة وأربعة وتسعون، وفقاً لما ذكره أغلب من ترجم له . "دفن بالعباد مثوى العلماء والفقهاء و الزهاد و المتصوفة و العباد"<sup>2</sup>

## 2/ الظروف العامة لنشأة أبي مدين شعيب:

### أ/الظروف السياسية:

<sup>1</sup>ابن قنفذ القسنطيني أنس الفقير وعز الحقير -محمد الفاسي -أدولوف فور المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط مطبعة أكادال ص11

<sup>2</sup> أبي مدين شعيب ديوان أبي مدين شعيب الغوث مرجع سابق ص 5

شهدت منطقة المغرب الإسلامي العديد من الأحداث التاريخية والوقائع السياسية البارزة، التي اعتبرها المؤرخون نقطة تحول مهمة في التاريخ الإسلامي، ومن أبرز هذه الأحداث ظهور الدويلات الإسلامية في المغرب و على رأسها دولتا المرابطين والموحدين، اللتان كانت معاصرتين للشيخ أبي مدين.

### 1- دولة المرابطين: (434-541هـ/1059-1147م)

نشأت دولة المرابطية على أساس فكرة الرباط التي كانت منتشرة منذ صدر الإسلام، لا سيما في عهد الخلفاء الراشدين، والأمويين، وبدايات الدولة العباسية. ويقصد بالرباط في المفهوم الإسلامي المكان الذي يتمركز فيه المجاهدون على حدود الدولة الإسلامية، بهدف الدفاع عنها ضد الأعداء الكافرين، بالإضافة إلى تنظيم غزوات دورية لتوسيع رقعة الدولة الإسلامية ونشر الإسلام بين الشعوب المختلفة.<sup>1</sup> وقد استمد مفهوم الرباط من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>2</sup>

ومن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾<sup>3</sup>

كان الخليفة عمر بن الخطاب أول من أصدر أمرا بإنشاء الرباطات على الحدود الشمالية لبلاد الشام، عند أطراف الدولة البيزنطية. ثم بعد ذلك برزت الرباطات في الغرب الإسلامي.

<sup>1</sup> يحي بوعزيز الموجز في تاريخ الجزائر ج 1 الجزائر القديمة والوسيط ط 2 ديوان المطبوعات الجامعية 2009-11

ص 173

<sup>2</sup>سورة الأنفال الآية 60

<sup>3</sup>سورة آل عمران الآية 200

عند ظهور المرابطين في المغرب الإسلامي، جعلوا من الرباط في البداية مركزا للتعبد، ونشر تعاليم الإسلام الصحيحة، ومحاربة البدع والوثنية. ثم انطلقوا من هذه الرباطات إلى مختلف أنحاء المغرب، حيث قادوا عمليات الغزو والتوسع، مما أدى إلى نشوء حركة سياسية ناجحة.<sup>1</sup>

## 2/ دولة الموحدين (515-668هـ/1121-1269م):

قامت هذه الدولة على أنقاض دولة المرابطين وذلك لظهور زعماء ورجال سياسيين أمثال محمد بن تومرت.

تعد حركة محمد بن تومرت ثالث حركة من نوعها في إقليم المغرب الإسلامي، بعد حركتي الفاطميين و المرابطين. وقد نشأت كحركة مغربية خالصة ومستقلة، قائمة على أسس دينية واضحة، قبل أن تتطور إلى حركة سياسية على غرار الحركة المرابطية متبينة شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.<sup>2</sup>

### ب- أحوال الأندلس بعد سقوط دولة المرابطين:

أما أوضاع جزيرة الأندلس، فإنه عند نهاية حكم أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف، اضطربت أحوالها اضطرابا شديدا، مما أدى إلى ضعف المرابطين وتخاذلهم، وانصرافهم إلى الراحة والركون إلى السكون، حتى باتوا يميلون إلى الترف ويخضعون لسلطة النساء فازداد ضعفهم في نظر أهل الجزيرة، وقلّت هيبتهم، مما شجع الأعداء على مهاجمتهم. ونتيجة لذلك، استولى النصارى على العديد من الثغور القريبة من أراضيهم. وكان

<sup>1</sup> يحي بوعزيز الموجز في تاريخ الجزائر الجزء الأول الجزائر القديمة والوسيطه مرجع سابق ص 174

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 178

من بين العوامل التي ساهمت في هذا الاضطراب قيام ابن تومرت بسوس، وانشغال علي بن يوسف بمواجهته، مما حال دون اهتمامه بشؤون الجزيرة.<sup>1</sup>

### الظروف الثقافية والفكرية:

شهد العصر الذي عاش فيه أبي مدين تطورات ثقافية وفكرية بارزة. حيث أن المرابطين نشأوا من بين سكان الصحراء، وهم بدو بسطاء، فكانوا معادين لكل مظاهر الحضارة الإسلامية. ولذلك جاءت حكومتهم أشبه برياح الصحراء الحارقة عندما تهب على المروج الخضراء، حيث عملت على تدمير العلوم والفنون والصناعات التي بلغت في ظل السيادة الإسلامية في الأندلس أوج التقدم والازدهار. كان أولئك الحكام شديدي القسوة، يبغضون القبائل العربية وثقافتها، ويسعون بكل جهد للقضاء عليها، فكانوا يضطهدون العلماء الذين يخرجون عن معتقداتهم ويقومون بحرق كتبهم، ويعاقبون قارئها أقصى العقوبات فكانت المدارس والمكتبات تندثر شيئاً فشيئاً.<sup>2</sup>

لم يكن الموحدون أيضاً من أنصار العلوم والحضارة، فقد نشأوا في بيئة القبائل العسكرية البسيطة. ومع ذلك لم يبلغوا من التطرف في محاربة الثقافة ما بلغه أسلافهم، إذ أوقفوا اضطهاد القبائل، وسمحوا بدراسة تعاليم الفيلسوف الغزالي بعد أن كانت محظورة في عهد المرابطين، كما أباحوا قراءة كتبه وغيرها من المؤلفات التي كانت ممنوعة.

وأطلقوا العنان لحرية العلوم والفنون، حتى أنهم بعد أن أدركوا أسرار الحضارة الإسلامية، أصبحوا من حمايتها، واهتموا بتشجيع بعض العلوم ونشرها. وقد أدى ذلك إلى ازدهار الزراعة

<sup>1</sup>أبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي "المعجب" د-صلاح الدين الهواري شركة أبناء شريف للطباعة والنشر والتوزيع المكتبة العصرية الأولى 2006م ص 154

<sup>2</sup> يوسف أشباغ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين محمد عبد الله عنان ج 1 مكتبة الخانجي بالقاهرة ط 2 1417-1996م ص 150

والصناعة والتجارة في جميع أنحاء المملكة، مما جلب للشعب موجة من الرخاء، وهو عامل أساسي في تحفيز التقدم الفكري بين الأمم.<sup>1</sup>

### د/الأوضاع الدينية:

لقد شهد عصر أبي مدين تطورا في المذاهب الدينية وكان متأثرا بها فكان مثقفا في العلوم الإسلامية بنوعها العقلية والنقلية. بيد أن أبي مدين ذهب إلى فاس في الوقت الذي انبعثت فيه مذاهب و روى الموحدين في بلاد المغرب الذي أقامت فيه كل من العلوم الفقهية والكلامية بتأثير المذاهب إلا أن أبي مدين فقد كان توجهه إلى التصوف بصفة خاصة.<sup>2</sup>

بعد أن تناولنا في المبحث الأول مولد الشخصية المدروسة، وظروف نشأتها في أبعادها السياسية والثقافية والدينية، وما شكلته تلك المرحلة من لبنات أولى في تكوين وعيها وتوجهها، ننتقل في هذا المبحث إلى التوقف عند المحطات الفكرية والعلمية التي كان لها الأثر الأكبر في بلورة رؤيتها ومواقفها .

فمن المعروف أن التأثير المعرفي لا يتشكل في فراغ، بل يتأثر بالفكر السائد، وبالمحيط العلمي، وبالمرجعيات التي يتغذى منها الإنسان في رحلته العلمية.

ومن هنا، يهدف هذا المبحث إلى تسليط الضوء على أبرز المشايخ الذين تتلمذ على أيديهم، والذين نهل منهم العلم والتوجيه، إلى جانب بيان أهم المصادر الفكرية التي أسهمت في بناء مشروعه المعرفي والفكري .وسنحاول من خلال هذا المبحث تتبع معالم هذا التأثير، والوقوف على أوجه الاستفادة أو التفاعل مع تلك المرجعيات، سواء في بعدها التقليدي أو التجديدي، بما يساعدنا على فهم أعمق للسياقات التي صنعت ملامح هذه الشخصية.

### المبحث الثاني: مشايخه ومصادره الفكرية.

<sup>1</sup> نفس المرجع ص 151-152

<sup>2</sup> عبد الحلیم محمود شیخ الشیوخ أبي مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله مرجع سابق ص 52

## أ/ مشايخه:

كان أبو مدين يجوب رحاب المساجد ، حيث تنعكس أنوار المعرفة على وجوه الأساتذة والطلاب و كأنها إشراقات من جوهر الحقيقة ذاته. مما أثار دهشته في المساجد أن لغة النقاش كانت أعجمية، ورغم ذلك كان الحاضرون يفهمون ويتحاورون بعمق، كأنهم مستترون بسر خفي لا يدركه بعد. راح ينتقل بين الحلقات، متسائلا عن سر هذا الفهم الذي استعصى عليه، متأملا في المفارقة بين جهلهم و إدراكهم. لكنه بدافع العزم الفلسفي، لم يستسلم بل واصل البحث و المثابرة، حتى قادته العناية الإلهية إلى حلقة الشيخ أبو الحسن بن حرزهم، حيث ربما وجد المفتاح الذي طالما سعى إليه.

## أ-1/ الشيخ أبو الحسين علي بن حرزهم :

كان يقول أبي مدين بحثت عن مجالس العلماء ، متقلبا بينهما واحدا تلو الآخر غير أن المعاني كانت تغلت مني كما يفلت الماء من بين الأصابع ، فلا يترسخ في ذهني شيء مما أسمع . حتى جلست إلى شيخ كان لكلماته وقع مختلف، فكأنها نور يخترق حجب الغفلة، تستقر في قلبي دون عناء، وكأنها حقيقة كنت أعرفها قبل أن تقال. فسألت بدهشة: من هذا الشيخ فقيل لي إنه أبو الحسن بن حرزهم. وحين انتهى من حديثه، اقتربت منه وقلت : "حضرت مجالس كثيرة فلم أثبت علي ما يقال، وأنت كل ماسمعت منك حفظته"<sup>1</sup> فقال لي: "هم يتكلمون بأطراف ألسنتهم فلا يجاوز كلامهم الأذان وأنا قصدت الله بكلامي فخرج من القلب فلازمته"<sup>2</sup>

ثم قال: فمن يكون هذا الذي يدعى بن حرزهم ؟

<sup>1</sup> ابن قنفذ القسنطيني أنس الفقير وعز الحقيير مرجع سابق ص12

<sup>2</sup>مرجع نفسه ص12

لابد من التوقف عنده، فقد كان أول من أرشد أبا مدين إلى طريق العلم. هو ابن مدينة فاس، حيث ولد ونشأ في رحابها، وارتوى من معين علمائها فنهل من المعرفة حتى بلغ أسمى مراتب الثقافة. تعمق في الفقه حتى غدا فقيها بارعا، متميزا بفكره المتقد وعلمه الواسع. إلى جانب الفقه انكبّ على دراسة التصوف، فجمع بين العلمين حتى صار فقيها متصوفا، وكانت الثمرة الطبيعية لهذا المسار العلمي أنه تجلّى فيه الزهد، فغدا عالما يجمع بين الفقه والتصوف، متحلي بروح الزهد والتجرد عن الدنيا.

إعتاد الشيخ أبو الحسن ابن حرزهم ارتياد الحمام يوميا، حتى إذا جاء اليوم الذي وافته فيه المنية، التفت إلى خدم الحمام وقال لهم: "اليوم بقي لكم وتستريحون مني".<sup>1</sup> تعجبوا من كلماته، لكنه مضى في طريقه حتى وصل إلى منزله، فدخل بيته واستلقى على فراشه في سكون. وعندما حان وقت الصلاة، جاء بعض تلامذته لإيقاظه، غير أنهم وجدوه قد فارق الحياة وكانت وفاته في عام خمسمائة وتسعة وخمسون ودفن خارج باب الفتوح من أبواب فاس.

"هذا هو ابن حرزهم الذي تفتح له قلب أبي مدين، وكان تعليمه أول شمعة أضاءت في حياة أبي مدين العلمية."<sup>2</sup>

فقد كان ابن حرزهم هو الأثير في قلبي أبي مدين شعيب، وكان أول من علمه، فكان تعليمه بمثابة النور الأول الذي أضاء طريقه في طلب العلم.

. الشيخ أبو يعزي يلنور:

<sup>1</sup>ابن قنفذ القسنطيني أنس الفقير وعز الحقير مرجع سابق ص13

<sup>2</sup>المرجع نفسه ص 36

إذا كان أبو مدين قد اطلع على كتاب الرعاية، ودرس الإحياء، وتعمق في علوم التصوف، فإن ذلك لا يعني أنه أصبح صوفيا بمجرد المعرفة النظرية. فالتصوف ليس مجرد دراسة، بل هو ممارسة وسلوك وسير في طريق المقامات\* و الأحوال\*. وهذا الجانب الجوهري في التصوف، وفي حياة أبي مدين، وقد فيض الله له من يرشده فيه على النهج الصحيح، ويوفقه للسير وفق سنن السالكين...

إنه أبو يعزي يلنور عبد الله وأبو يعزي من اسم والده ولقد كان من المترجمين في "التشوف" وأبرز الشخصيات التي حظيت بإجماع واسع على مكانتها المرموقة في مجال التصوف بالمغرب. "وقد أناف على مائة سنة بنحو الثلاثين سنة ودفن بجبل إيروجانفي شهر شوال عام إثنين وسبعين وخمسائة وكان قطب عصره و أعجوبة دهره." <sup>1</sup>

سمعت الناس يتحدثون عن كرامات أبي يعزي فذهبت إليه برفقة جماعة وعند دخولنا إليه أقبل على القوم دوني وقدم لهم الطعام ومنعني. ظلت على هذه الحالة ثلاثة أيام.

وحين نهض أبو يعزي من مكانه اقتربت منه بخشوع وألصقت وجهي به فأصبت بالعمى وفي الصباح استدعاني وقال: "أقرب يا أندلسي." <sup>2</sup> ثم مرر بيده على وجهي أعيد بصري ثم مرر يده على صدري وقال للحاضرين سيكون له شأن عظيم.

\*المقام: هو إتمام أداء حقوق المراتب، فمن لم يكمل حقوق المنازل التي هو فيها، لا يصح له أن يرتقي إلى ما هو أعلى منها وكذلك، من لم يتحقق بخلق القناعة حتى تصير له صفة ثابتة، لا يصح له التوكل، ومن لم يبلغ كمال التوكل، لا يتحقق له مقام التسليم، وهذا الحكم يسري على جميع المقامات . انظر: عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تح: عبد العال شاهين، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع ط-1، 1413هـ-1992م ص 102

\* الأحوال: هيا عطايا يمن بها الله على عبده، فإما أن تأتيه نتيجة لعمل صالح زكى النفس وصفى القلب، أو أن تنزل عليه محض فضل وامتنان من الحق، وسميت أحوالا لأنها تغير حال العبد فتنتقله من الصفات البشرية البعيدة والناقصة، إلى الصفات الحقيقية ومقامات القرب من الله، وهذا هو المقصود بالترقي، وأما الإحسان، فهو أن يتحقق العبد بعبوديته لله مع شهوده لحضرة الرب بنور البصيرة، أي أن يرى الحق متمثلا بصفاته من خلال صفته هو، فبراه بعين اليقين، لا مجرد يقين، دون أن تكون رؤية حقيقية بالبصر . انظر: المعجم نفسه ص 46

<sup>1</sup> أحمد توفيق التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي جمعية أصدقاء المكتبة المغرب سنة 2005 ص 214

<sup>2</sup> عبد الحلیم محمود شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعرجه إلى الله مرجع سابق ص 43

\* الكرامات: هي أمر خارق للعادة، يخرج عما ألفه الناس واعتادوه عقلا وطبيعة، ويتجاوز قوانين الكون ونظمه، لكنه لا يرتبط بادعاء النبوة ولا بوحي من الله، ولا هو سحر أو شعوذة، بل يخص الله به أوليائه العارفين به، فهو سبحانه القادر

رغم قساوة أبو يعزي على أبي مدين إلا أنه عاد له للمرة الثانية والثالثة وبقي يكرر في ذلك. فيقول أبي يعزي أشك في الأندلسي، أي أشك بالرجل الأندلسي .

حظي أبي مدين بنفحات بركاته، وشهد بعينه عجائب كراماته\* . كان من آيات الباهرة، وأحواله كلها يكتنفها العجب. وقد تناقلت الروايات المتواترة عنه ما يفوق الوصف، حتى قيل فيه: حدّث عنه البحر ولا حرج، كما قال الشيخ أبو مدين، -رضي الله عنه-: "طالعت أخبار الصالحين في زمن أويس القرني\* إلى زماننا فما رأيت كالإحياء للغزالي".<sup>1</sup>

فقد كان طعام أبي يعزي مقتصرًا على نبات الأرض، لكنه كان يكرم زائريه اللحم والعسل. فكان رجلا طويل القامة، أسود البشرة، يرتدي جبة من تليس مخطط مع برنس أسود وشاشية من العزف.

### . الشيخ أبو عبد الله الدقاق:

يعد من أهل سجلماسة\* وكان كثير التنقل إلى مدينة فاس، ويعد من كبار مشايخ الطرق الصوفية في زمانه. تتلمذ على يديه عدد من العلماء والصلحاء، من بينهم أبو مدين، كما كان من تلاميذه أيضا أبو عبد الله الأصم وأبو عمرو التلمساني. وكان يعلن بوضوح أنه من أولياء الله، ويتحدث بأقوال وتصرفات كان ينكرها عليه بعض الناس.<sup>2</sup> وكان عبد الله

على كل شيء، الفعال لما يريد . انظر: عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها دار المعارف ط-5 ص 48

\*أويس القرني:

<sup>1</sup>ابن قنفذ القسنطيني أنس الفقير وعز الحقير مرجع سابق ص 21

\*سجلماسة: مدينة تفصلها عن مدينة فاس مسافة تقدر بحوالي عشرة أيام سيرا في إتجاه الجنوب. تقع هذه المدينة عند نهاية جبل يعرف بجبل دوران، وتحيط بها من جميع الجهات كثبان رملية تشبه رمال زورود المعروفة باتساعها. ومن الجهة الشمالية، تتصل بها أراض مستوية صلبة تعرف بالجدد. ويمر بالقرب منها نهر عظيم يمكن عبوره مشيا، وقد أقام السكان على ضفافه بساتينا واسعة وأشجار نخيل تمتد على مرمى البصر. انظر: فاطمة سيراخ الشيخ أبو مدين شعيب دوره العلمي وحضوره الصوفي (شهادة ماستر، تاريخ وحضارة المغرب الأوسط). قسم العلوم الإنسانية كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية-2015-2016 ص 28

<sup>2</sup>أحمد توفيق التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي مرجع سابق ص 156

الدقاق إماما في ذلك العصر. وكان يقول: "أنا أول من أخذ عنه الشيخ أبو مدين علم التصوف."<sup>1</sup> إذ بدأت تعلمه على يديه قبل غيري، ونهلت من معارفه الروحية ومناهجه الصوفية في وقت لم يكن قد اشتهر بعد بين طلاب هذا العلم. و ذات يوم بينما كان جالسا بين أصحابه فلتت منه كلمة نكر فيها ضيق حاله. وفي تلك الليلة رأى أحدهم في منامه شخصا يقول له: أنشد الدقاق. كان كتاب الرسالة القشيرية من الكتب المحببة إلى أبي مدين شعيب، وهو مؤلف للإمام القشيري الذي يستهل كتابه بقوله: "هذه رسالة كتبها الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن هوزان القشيري إلى جماعة صوفية ببلدان الإسلام في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة."<sup>2</sup> ألفها بعدما لاحظ في صوفية زمانه مظاهر انحراف عن نهج التصوف الحقيقي، فكان كتابه ميزانا دقيقا لمن أراد السير على الطريق القويم.

### ب/ مصادره الفكرية: (عبد القادر الجيلاني)

يعد أبي مدين شعيب من أبرز أعلام التصوف في الغرب الإسلامي، وقد تأثر بالعديد من الشخصيات الصوفية الكبرى ومن بينها الشيخ عبد القادر الجيلاني. ورد اسمه كما ذكره بنفسه في كتابه "المواهب الرحمانية والفتوح الربانية" على النحو التالي: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثني بن الحسن بن علي بن أبي طالب ويكنى أبا محمد، بينما اشتهر بلقب محي الدين. كما لقب بألقاب عديدة أخرى، منها الغوث، الغوث الأعظم، غوث الثقلين، باز الله، وباز الله الأشهب.

أشار الشيخ عبد القادر الجيلاني أحد ألقابه ألا وهو "الباز الأشهب" في البيت الآتي:

<sup>1</sup> ابن قنفذ القسنطيني و عز الفقير مرجع سابق ص 27

<sup>2</sup> عبد الحليم محمود شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله مرجع سابق ص 38

"أنا بلبل الأفراح أملاً دوحها طربا وفي العلياء باز أشهب"<sup>1</sup>

ولد الشيخ عبد القادر رضي الله عنه في بلدة صغيرة اسمها نيف. يقع إقليم جيلان في شمال إيران، جنوب بحر قزوين، ويتميز بخصوبة تربته، وكثرة أنهاره، وغزارة أمطاره.<sup>2</sup>

"ذكر أكثر أهل التواريخ والمناقب والتراجم أن مولد الإمام السيد عبد القادر كان سنة سبعين وأربعمائة الموافق ل1077 ولم يختلفوا في أن وفاته في سنة إحدى وستين وخمسائة."<sup>3</sup>

بعد أن أمضى أبي مدين عدة أعوام بفاس، خلال انتشار مذاهب الموحدين في بلاد المغرب. انتقل الصوفي الشاب إلى مكة حيث يقال أنه التقى بالشيخ عبد القادر جيلاني، فارتبط به بعلاقة ود، وأتم بإرشاده وتعليمه في التصوف.<sup>4</sup>

وقال محيي الدين بن عربي: "كان شيخنا أبو مدين قد ترك الحرف وانشغل بالجلوس مع الله تعالى، متلقيا ما يفتح عليه. وكان له في ذلك الجلوس منهج عجيب في علاقته مع الله، إذا لم يكن يرد شيئا يقدم إليه، تماما كما كان يفعل الشيخ عبد القادر جيلاني. غير أن عبد القادر كان يحث أتباع طريقته القادرية على الالتزام بالسنة والشرع، مخاطبا إياهم بحزم وقوة فيقول: "إتباع الشرع موجب لسعادة الدارين، فاحذر الخروج من دائرته ...."<sup>5</sup> وبهذا كانت طريقته تبنى على تجريد التوحيد وتوحيد التفريد مع الحاضرين في موقف العبودية لاشيء ودون قصد شيء. إذن هذه هي الطريقة القادرية وأساسها أي مبناها.

<sup>1</sup> منال اليمني عبد العزيز عبد القادر جيلاني الغوث الأعظم "الديوان الفارسي" الأفاق للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2012 ص 9

<sup>2</sup> د عبد الرزاق الكيلاني الشيخ عبد القادر جيلاني الإمام الزاهد القدوة دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع دمشق الطبعة الأولى 1414هـ/1994م ص92

<sup>3</sup> الشيخ عبد المجيد بن طه الدهيبي الزعبي الجيلاني القادري الرفاعي إتحاف الأكابر في سيرة ومناقب الإمام محيي الدين عبد القادر الجيلاني الحسيني رضي الله عنه 470-521هـ دار الكتب العلمية طبعة جديدة منقحة ومزودة ص 194

<sup>4</sup> عبد الحلیم محمود، شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، مرجع سابق ص 53

<sup>5</sup> عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، الرفاعي الجيلاني البدوي الشاذلي الدسوقي، دار المعارف الطبعة الخامسة، ص 71

بعد أن تناولنا في المبحث الثاني مشايخ أبي مدين شعيب، الذين كان لهم دور محوري في صقل شخصية العلمية والروحية، واستعرضنا المصادر الفكرية التي تأثر بها وتشرب منها معاني التصوف والعلم، ننتقل في هذا الفصل إلى جانب مهم من جوانب شخصيته، وهو نتاجه العلمي والأدبي.

فرغم أن ما وصل إلينا من مؤلفاته مكتوبا يعد قليلا مقارنة بمكانته بين أعلام التصوف، فغن المنقول عنه من أقوال، وتعاليم، وأشعار، يحمل دلالة عميقة على عمق تجربته الروحية، وسعة اطلاعه، وأثره البارز في تطور الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي، لاسيما في المغرب والأندلس.

وسيكون هذا المبحث مخصصا لاستعراض أبرز مؤلفاته المنسوبة إليه، وتحليل موضوعاتها، وبيان منهجه في عرض الأفكار والتجارب الصوفية بالإضافة على محاولة تتبع الاثر الذي خلفته هذه المؤلفات في الأوساط الصوفية والعلمية التي جاءت بعده.

كما سنحاول إبراز الملامح الفكرية والروحية التي تتجلى من خلال نصوصه، وكيف عبر من خلالها عن تجربته الذاتية وموقفه من قضايا السلوك والتربية والتوحيد.

### المبحث الثالث : مؤلفات أبي مدين شعيب

لأبي مدين شعيب عدد من المؤلفات، منها ما طبع وحقق واشتهر بين الباحثين، ومنها ما لا يزال مخطوطا محفوظا في خزائن المكتبات، بحاجة إلى تحقيق ودراسة.

غير أن أبرز ما عرف به واشتهر عند الخاص والعام هو شعره الصوفي، الذي جمعت معظم قصائده في كتابه المعروف ب: <sup>1</sup>

ديوان أبي مدين شعيب الغوث:

" جمع المعروف من شعر أبي مدين التلمساني من طرف العربي بن مصطفى الشوار التلمساني، وقام بنشره نجلة محمد بن العربي بمطبعة الترقى بدمشق سنة 1938 م <sup>2</sup>

كما أن لأبي مدين شعيب مؤلفات نثرية، من أبرزها " الوصية " و"العقيدة "وهما ما تزالان محفوظتين في صورة مخطوطتين داخل أرشيف المكتبة الوطنية بباريس.

ولأبي مدين أيضا " أنس الوحيد ونزهة المرید في التوحيد " ويعرف الأخير بالحكم الغوثية، وقد نال اهتمام عدد من الشراح، من بينهم مصطفى العلوي في كتابه " المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية. "

كما تناول شهاب الدين يعقوب في مؤلفه " البيان والمزيد " هذا النص موضحا معاني التزكية ومقامات التوحيد التي اشتمل عليها " أنس الوحيد ونزهة المرید في التوحيد. <sup>3</sup>

رسالة في التصوف:

وهي مخطوطة محفوظة تحت الرقم 1810، ويعتقد أن اسمها الأصلي هو "حكم أبي مدين" كما توجد نسخة أخرى من هذه الرسالة تحت الرقم 613، وتتضمن مجموعة من الحكم المنثورة والمنظومة.

<sup>1</sup> سميرة رحيم، الكتابة الصوفية في أنس الوحيد ونزهة المرید لأبي مدين شعيب [ مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، قسم اللغة العربية وأدابها: 11\_9\_2009 م، ص 25

<sup>2</sup> مسعودان محمد، تمظهرات مخاطبة الذات الإلهية في شعر أبي مدين شعيب، مجلة المفكر، المجلد 5، العدد2 [2021]، ص 25

<sup>3</sup> مرجع سابق، سميرة رحيم، الكتابة الصوفية في أنس الوحيد ونزهة المرید لأبي مدين شعيب، ص 25

قصيدة الجوهر:

محفوظة في باريس تحت الرقم 5320، وهي مقصورة الجوهر المؤرخة بسنة 1476هـ.

استغفار منظوم:

محفوظ تحت الرقم 8832 في برلين.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - مسعودان محمد، تمظهرات مخاطبة الذات الإلهية في شعر أبو مدين شعيب، مرجع سابق ص 25

# الفصل الثاني



الفصل الثاني : الصوفية والتصوف عند أبي مدين شعيب الغوث

المبحث الأول : مفهوم التصوف عند أبي مدين شعيب

✚ مفهوم التصوف لغة

✚ مفهوم التصوف عند أبي مدين شعيب

المبحث الثاني : سبل تأثير التصوف على أبي مدين شعيب

✚ التصوف كمنهج روحي عند أبي مدين شعيب

✚ الجمع بين الشريعة والحقيقة

✚ البعد الأخلاقي

✚ رفض المغالاة في الكرامات

المبحث الثالث : الأسس الروحية التي دع لها أبي مدين شعيب

✚ الزهد

✚ الطهارة الروحية

✚ الفكر والتأمل

## الفصل الثاني: الصوفية والتصوف عند أبي مدين شعيب الغوث.

### المبحث الأول: مفهوم التصوف عند أبي مدين شعيب

#### 1/ مفهوم التصوف: لغة:

ورد في القاموس المحيط، أن أصل كلمة صوفي راجعة للمفردات الآتية: صاف الكبش صوفا؛ وصوفاني بالضم هي بهاء؛ إذا تعدد وازداد صوفه. كما يقال أيضا: أخذت بصوف رقبتة أي معناها بجلد رقبتة.<sup>1</sup>

والتصوف مشتق من الفعل الخماسي المرتبط بالتصوف، حيث يشير إلى ارتداء الصوف، ومن ثم أطلق على من يكرس نفسه للحياة الصوفية في الإسلام لقب "صوفي"، مثل القول بأنها مشتقة من "أهل الصفة"، وهم جماعة من النساك كانوا يجلسون على دكة المسجد في المدينة في عهد النبي، أو أنها تعود إلى الصف الأول من صفوف المسلمين في الصلاة، أو أنها تنسب إلى قبيلة "بني صوفة" البدوية، أو إلى نبات "الصوفانة" أو إلى "صوفة القفا" التي تعني الشعر النابت على القفا، أو أن الكلمة مشتقة من "صوفي" بإعتباره مطاوعا لكلمة "صافي" أو من الأصل "صفا".

1- التصوف في المغرب الأوسط زمن الموحدين أبو مدين شعيب (ت594هـ) أنموذجا ط، د-سليمة بن حسن- صلاح الدين هدوش كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة باتنة 1 مخبر الجزائر دراسات في التاريخ، الثقافة والمجتمع- مجلة الإحياء المجلد: 22 العدد 31 جوان 2022 ص 796

\*- الإمام القشيري: هو أبو قاسم عبد الكريم بن هوزان النيسابوري الشافعي، يعد من كبار علماء الإسلام في الفقه وأصوله، ومن أبرز أعلام التصوف وعلم الكلام في القرن الخامس الهجري. كان أيضا واعظا مؤثرا، ومفسرا للقرآن، وأديبا بارعا. استهر بمؤلفاته المهمة، وأشهرها "الرسالة القشيرية" التي تعد من أبرز كتب التصوف، وكتاب "لطائف الإشارات" في التفسير. ومن كتبه كذلك مؤلف في اللغة العربية يحمل عنوان "نحو القلوب"، تناول فيه قواعد النحو بأسلوب مميز يمزج بين العلم والروحانية. انظر: أحمد قاسم كسار، الامام القشيري وجهوده في أسلمة الدراسات اللغوية كتاب نحو القلوب نموذجا، مجلة حوليات التراث العدد 2012/12- تلخيص-.

قال شيخ الإسلام في ترجمة الامام القشيري مولد المؤلف في شهر ربيع الاول سنة ست وسبعين وثلثمائة وتوفي صبيحة يوم الأحد سادس عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة. انظر: عبد الكريم بن هوزان القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الكتب العربية الكبرى بمصر ص 15.

فيجوز وصف الشخص بالصوفي إذا ارتدى الصوف، ولكن هذا الأمر ليس محل خلاف، بل إن الخلاف يدور حول لقب "الصوفية" الذي أطلق على المتصوفة. فعلى الرغم من أن بعض المتصوفة وغيرهم يرون أن التصوف مشتق من الصوف، إلا أن فريقاً آخر من المتصوفة أنكر وجود أي اشتقاق لغوي للكلمة، واعتبروها لقب محض، وهو ما ذهب إليه كل من القشيري والهجويري.

"قال القشيري\*: "وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية، قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب."

قال الهجويري\*: "واشتقاق هذا الاسم لا يصح على مقتضى اللغة من أي معنى لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس يشق منه"<sup>1</sup>  
<sup>1</sup>وبهذا نقول بشكل مبدئي أن التصوف، بشكل عام، يمثل فلسفة حياة ونهجاً سلوكياً معنياً يتبعه الإنسان من أجل تحقيق كماله الأخلاقي، والوصول إلى المعرفة الحقيقية، ونيل السعادة الروحية.<sup>2</sup>

1- ماسينوس ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية: إبراهيم خورشيد- عبد الحميد يونس- حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة ط1، 1984 ص 25-26  
 \* - هو أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجلاب الهجويري، وينسب إلى مدينة غزنة الواقعة في إقليم خراسان (في أفغانستان اليوم)، والتي كانت من الحواضر العلمية والثقافية المهمة آنذاك. عاش الهجويري طوال حياته في ظل الدولة الغزنوية، التي كانت تهيمن على مناطق واسعة من المشرق الإسلامي ورغم غياب تواريخ دقيقة لمولده ووفاته، إلا أن أغلب المصادر ترجح أنه عاش ما بين العقد التاسع والعاشر من القرن الرابع الهجري إلى حدود العقد السابع من القرن الخامس الهجري. وتمتد هذه الفترة لتغطي المرحلة الذهبية من تاريخ الدولة الغزنوية، حيث بلغت أوج ازدهارها وقوتها، لاسيما في النصف الأول من حياته. انظر: أبو الحسن علي بن عثمان، كشف المحجوب للهجويري، إسعاد عبد الهادي قنديل- أمين عبد المحيد بدوي. جمهورية مصر العربية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة التعريف بالإسلام، جمادى الأولى 1394 يونية 1974 ص 15  
 2- لطف الله خوجة، موضوع التصوف، مكة المكرمة جامعة أم القرى 1432هـ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، سلسلة البحوث المحكمة 1 صوفية حضر موت ص 24

## 2/ مفهوم التصوف عند أبي مدين شعيب الغوث:

بينما كان أبي مدين شعيب يتجول، صادف خيمة فيها جماعة من الناس، فخرج منها شيخ وسأله عن حاله، فأخبره أبي مدين بما عنده، فجلس معه وكلما جاع كان يرمي بخيط مربوط بطرف صنارة فيصطاد سمكة، ثم يشويها ويطعمه إياها. وبعد مدة قال له: ارجع إلى الحاضر لتتعلم العلم، فإن الله تعالى لا يعبد إلا بالعلم.

إن الله لا يعبد إلا بالعلم! لقد وجدت هذه الكلمة هوى في نفس، إذ كيف لا، وهو خرج ليعبد الله؟ وكيف لا، وقد خرج ليتعلم الصلاة وقراءة القرآن؟.

كأن هذه الكلمة كانت إلهاما من الله أوحى بها إلى الشيخ، فبلغت أعماق قلب أبي مدين، ورسخت عزمته على ما خرج من أجله. غير أن هذه الكلمة بذاتها كانت شعارا يتخذه الصوفية دليلا لهم في سيرهم إلى الله.<sup>1</sup>

يرى أبي مدين أن التصوف ليس علما نظريا يقتصر فهمه على الدراسة الأكاديمية أو مطالعة الكتب فحسب، بل هو تجربة عملية تتطلب ممارسة فعلية في الحياة اليومية. فهو يقوم على التطبيق الروحي، والتمسك بالسلوك الأخلاقي، والسعي إلى تهذيب النفس، مما يجعله منهاجا يستلزم خوض تجربة ذاتية وبذل جهد متواصل، وليس مجرد إكتساب للمعرفة النظرية. وبهذا يعرف أبي مدين التصوف على أنه:

## التصوف علم وعمل:

فالتصوف عنده ليس علما فقط، وإنما هو علم وعمل، فهما معا يقودان إلى الحقيقة، أو ما يسمى عند الصوفية بالمعرفة والعرفان وبهذا يقول: "إذا كنت ترغب في أن يكلمك الله، فتدبر القرآن عند قرأته، وإذا أردت أن تكلم الله، فادخل في الصلاة بقلب

1- أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، ت 9-4696 ص3 ص4

حاضر، لأن الصلاة هي موضوع الحضور والمشاهدة، ومن خلالها يبلغ العارف معرجه ومقام قربه، وينال كل خير وفائدة"، لذلك، أيها الأخ، استرح من همومك وأحزانك بانشغال بمثل هذه الصلاة، وتمسك بشدة لمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم، تكن من عباد الله المخلصين "لا طريق أوصل إلى الحق إلا من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحكامه".<sup>1</sup>

هذا يعني أن الوصول إلى الحقيقة المطلقة، أو ما يصطلح عليه بـ"الحق"، لا يتحقق إلا من خلال الامتثال الكامل والتسليم الواعي لمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم، سواء في تشريعاته أو في توجيهاته العلمية. فليس الحق نتاجاً للتأمل الفردي المجرد أو للعقل المستقل عن الوحي، بل هو ثمرة للمتابعة الصادقة لمن اصطفاه الله ليكون هادياً ومبلغاً عن إرادته. ومن هنا، فإن كل طريق يبتغى فيه الحق بعيداً عن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، هو طريق معرض للزيغ، لأن أحكامه تمثل التجلي العلمي للحق الإلهي في واقع الإنسان. ويبلغه مقام المحبة. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.<sup>2</sup> كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه متبعاً لما جئت به".<sup>3</sup>

أوضح الكتاب والسنة أن السبيل للوصول إلى الحق سبحانه وتعالى هو اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الأفعال والأحوال، ومن لم يسلك هذا الطريق فهو بعيد عن المؤمنين أهل الاعتدال، فضلاً عن العارفين والواصلين من أهل الكمال. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله: أوصيني يا رسول الله: "قل آمنت بالله ثم استقم".<sup>4</sup>

1- ابن علان، أحمد بن إبراهيم الصديقي الشافعي النقشبندي. شرح الحكم الغوثية، تح وتع: أحمد فريد المزدي. ط1

القاهرة: دار الآفاق العربية، 2008 ص 277

2- سورة آل عمران الآية: 31

3- ابن علان، شرح الحكم الغوثية، مرجع سابق ص 278

4- المرجع نفسه، ص 278

أي الإلتزام بالإستقامة على المتابعة، فهي الغاية والمطلب للعارفين، والنهاية التي يسعى إليها الواصلون. فتمسك بها يا أخي بكل قوتك، واجتهد أن يكون نهجك في جميع أمورك قائما عليها.

### المبحث الثاني: سبل تأثير التصوف على أبي مدين شعيب الغوث.

يعد أبي مدين شعيب أحد أبرز أعلام التصوف في المغرب الإسلامي، وقد أسهم بشكل كبير في نشر التصوف السني المعتدل، الذي يجمع بين الشريعة والحقيقة. كما أن للتصوف تأثير واضح على فكره وسلوكه، مما جعله نموذجا للصوفي الذي يوازن بين الإلتزام بالأحكام الشرعية والسير في طريق السلوك الروحي. من خلال هذا طرح التساؤل الآتي: إلى أي مدى أثر التصوف في تكوين شخصية أبي مدين شعيب؟

ولذلك يهدف هذا المبحث إلى تحليل أثر التصوف على أبي مدين من خلال تسليط الضوء على أهم ملامح تصوفه وسلوكه الروحي.

### المطلب الأول: التصوف كمنهج روحي عند أبي مدين شعيب.

كان التصوف عند أبي مدين شعيب نظاما روحيا متكاملًا يجمع بين الإلتزام بالأحكام الشرعية الإسلامية والسير في طريق السلوك الروحي العميق، حيث لم يكن التصوف في نظره انفصال عن الدين، بل وسيلة لتعميق العلاقة مع الله من خلال التطبيق العلمي للأوامر الشرعية. وقد ركز في منهجه على تركية النفس وتطهيرها من الشهوات والرغبات الدنيوية، معتمدا في ذلك على عدة ركائز أساسية، أبرزها الزهد، الذي يعني العزوف عن التعلق بالدنيا والسعي، والصبر، والإحسان، والذكر، والذي اعتبره وسيلة لتصفية القلب ودوام الاتصال بالله، إضافة إلى التوكل الذي يعكس الإعتماد الكامل على الله في جميع شؤون الحياة.

في هذا يقول الله عزوجل: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۗ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۗ ﴾<sup>1</sup>.

قال الشيخ أبو مدين لصاحب الرؤيا: إذا صدق أن رأيت إحدى الأنبياء في منامك، فسأله عن هذه العين، لعلك تجد عنده الجواب الشافي، وذكر الأشخاص إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه، وكان برفقته كل من الشيخ أبي مدين، وأبي حامد الغزالي\* رضي الله عنهما. وعندئذ توجه أبو حامد بسؤال إلى الشيخ أبي مدين، وكان ذلك في حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: "ما روح الروح؟ فقال له أبو مدين: المعرفة، فقال له: ما روح المعرفة؟ قال: اللذة، قال نظرت إليه، فغشيتهم نور عظيم فأخذتهم الملائكة وصعدت بهم حتى غابوا في الهواء."<sup>2</sup>

وقد أدى هذا المنهج المتوازن إلى ترسيخ نموذج فريد في التصوف السني المعتدل، الذي حافظ على التوافق بين العقيدة الإسلامية والممارسات الروحية، مما جعله ينتشر على نطاق واسع في المغرب الإسلامي حيث أثر تأثيرا عميقا في الأجيال اللاحقة من المتصوفة. الذين ساروا على نهجه واتخذوا من تعاليمه مصدر إلهام في مسيرتهم الروحية.

1- سورة الإسراء الآية: 85

\*- أبي حامد: هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الملقب بأبي حامد، أحد أعلام الإسلام، وفيلسوف متصوف شهير. ولد وتوفي في الطابران (إحدى نواحي طوس). وتنتقل في رحلاته بين نيسابور وبغداد والحجاز والشام ومصر، قبل أن يرجع إلى مسقط رأسه، وقد درس الفقه في صغره، ثم لازم كبار العلماء حتى برع في الجدل والمنطق وأصول المذاهب، وقرأ كتب الفلسفة والحكمة وأتقنها، فعدا حديث العلماء، ووصفت مصنفاً بأنها من أجود مآلف في تلك الفنون. انظر: الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي إحياء علوم الدين ط1-1426هـ، 2005م دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان صب 14/6366 ص 05

2- أبو العباس الغبريني، أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض منشورات دار الأفق الجديدة بيروت ط2 نيسان 1979 ص 30

## المطلب الثاني: الجمع بين الشريعة والحقيقة.

وفي هذا استقى أبي مدين شعيب المنهج السني الذي يعتبر ذلك المنهج الروحي الذي يقوم على تحقيق التوازن بين الالتزام بالأحكام الشرعية الإسلامية والارتقاء بالحقيقة الروحية من خلال السلوك الصوفي. وقد تبنى الشيخ أبو مدين هذا النهج، مستمداً أصوله وأسراره، مع بعض التهذيب والاختصار من تعاليم إمام التصوف الشيخ عبد القادر جيلاني، الذي كان له تأثير كبير في نشر التصوف القائم على الزهد والتوكل والالتزام بأحكام الدين. ولتعميق فهمه لهذا الطريق، جعل الشيخ أبو مدين من كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالي\* مرجعاً أساسياً له، حيث استلهم منه المبادئ الروحية وأخلاقه التي تعزز التزكية والسلوك الصوفي القويم.

وبدافع حرصه على الالتزام التام بالسنة قولاً وفعلاً وحالاً وفقاً لسيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، سعى إلى الجمع بين الفقه الظاهر المتمثل في الشريعة والفقه الباطن الذي يعرف عند الصوفية بالحقيقة. فالسير إلى الله سبحانه وتعالى له بعدان ظاهر يتمثل في الشريعة وباطن يتمثل في الحقيقة. وهذا ما استفاده أبو مدين من كبار أئمة التصوف الذين شددوا على العلاقة الوثيقة بين الشريعة والحقيقة، ومنه شيخه القشيري الذي يقول: "الشريعة أمر بالالتزام العبودية، والحقيقة مشاهد الربوبية، فكل شريعة غير مؤدية بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبول فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة أنباء عن تصريف الحق، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهد."<sup>1</sup>

1- الرسالة القشيرية للقشيري ص 148

\*- التصوف السني: هو الالتزام التام بالكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، علماً وعملاً، بحيث يجمع بين معرفة النصوص الشرعية وفهمها، وبين تطبيقاتها في السلوك والمعاملات اليومية. يقوم هذا التصوف على أساس الزهد الحقيقي، الذي يعني الإعراض عن الانشغال بملذات الحياة ومغرياتها الزائلة، دون أن يصل إلى حد تحريم ما أحله الله تعالى من الطيبات والنعم، إذ لا يتنافى الزهد مع التمتع بما أباحه الشرع الحنيف. وبهذا هو خلاصة الشريعة الإسلامية. (بلعيد رجاء مصطفى أوشاطر، التصوف الإسلامي عند الشيخ أبي مدين مكانة ومنهجها، مجلة اللغة العربية، مج24 ع3، 2022 ص 191)

في الواقع بفضل جهود أبي مدين المستمرة لإحياء البعد الباطني في الإسلام، نجح في ترسيخ مشروعية التصوف السني\* المعتدل في البيئة المغاربية. فقد تمكن من الموازنة بين الشريعة والحقيقة في تصويره لحقائق التوحيد، مما أضفى على التصوف طابعاً مقبولاً لدى الفقهاء.

تعد الممارسة لدى الولي الصالح أبي مدين شعيب في جوهرها تجربة روحية تتسم بصدق العاطفة، وإخلاص التوجه إلى الله، وعمق الإيمان. وفي هذا يقول: "من أخلص لله في معاملته تخلص من الدعوى الكاذبة."<sup>1</sup>

ويقصد في هذا أنه من سئمت نفسه في معاملته للناس على الإخلاص لله وحده، متجرداً من نوازع الذات ومطامع الظهور، تحرر من وهم الادعاء وزيف التمثيل، إذ أن الصفاء في القصد يقطع جذور الزيف، ويجعل الحقيقة هي المعيار الوحيد في السلوك.

فلا يبلغ العبد كما له إلا بالإخلاص في خدمة مولاه، ولا ينال الإخلاص إلا بتمام المراقبة، مع الحذر من الميل إلى غير الله. "لا تكون له عبداً ولغيره فيك بقية رق."<sup>2</sup>

إذ أنه يعد التجرد من عوائق الدنيا وشهواتها الأساس الذي انطلق منه أبو مدين شعيب في رحلته الروحية، مما منح تجربته طابعاً عملياً سلوكياً تجلّى فيه البعد الأخلاقي بوضوح. وبذلك، يمكن القول في النهاية إن طريقة أبي مدين في التصوف تميزت بطابعها الأخلاقي واهتمامها بالجانب العملي والسلوكي، دون أن تغلب حقائق المعرفة الصوفية أو تعطي أهمية مفرطة لما يعرف بالكرامات السنية، وإنما ركزت على ما يقرب المسلم من ربه وما يتناسب مع مقتضيات حياته.

1- شيخ الشيوخ سيدي أبو مدين التلمساني المغربي، شرح الحكم الغوثية، مرجع سابق ص 147

2- نفس المرجع السابق ص 271

## المطلب الثالث: البعد الأخلاقي:

فالتصوف الأسمى عنده هو تصوف أخلاقي كما قال لسان الدين بن الخطيب في كتابه روضة التعريف بالحب الشريف: " ثم اشتهر خواص من أهل السنة المراعين نفوسهم وأنفاسهم مع الله الحافظين قلوبهم من طوارق الغفلة؟ باسم التصوف الخلفي...<sup>1</sup>

وذكر العديد من الأسماء ومنهم أبي مدين شعيب فيقول: " حسن الخلق معاملتك مع كل أحد بما يؤنسه ولا يوحشه، فمع العلماء بحسن الاستماع والافتقار ومع أهل المعرفة بالسكون والإشهار. ومع أهل المقامات بالتوحيد والانكسار.<sup>2</sup>

وهذا معناه أن حسن الخلق أن تعامل كل شيء بالطريقة التي تليق به وتشعره بالأنس لا بالنفور، فتكون مع العلماء متواضعا، تتصت إليهم بإجلال وتظهر حاجتك إلى علمهم، ومع العارفين ساكنا مطمئنا، تظهر ما يحملون من نور المعرفة مع أولي المقامات والدرجات تسلك مسلك التوحيد الحق مقرونا بالانكسار والخشوع ، إذ لكل مقام أدب، ولكل حال سلوك يليق به.

كما أن أبي مدين شعيب أولى اهتماما كبيرا للأخلاق في أقواله، باعتبار أن السالك في طريق التصوف يسعى إلى تهذيب شهوات النفس وتوجيهها نحو التحلي بالأخلاق السامية في تعاملاته مع الجميع، بغض النظر عن مكانتهم في المجتمع. فيقول: المرید إن أثر نوره يظهر مع الفقراء بالأنس والبشاشة ومع الصوفية بالأدب والارتباط، ومع المشايخ بالخدمة والاعتاظ، ومع العارفين بالتواضع والتذلل، ومع العلماء

1- الوزير لسان الدين بن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، تح عبد القادر أحمد عطا، عبد الستار دار الفكر

العربي ص 614

2- بلعيد رجاء، مصطفى أو شاطر، التصوف الإسلامي عند الشيخ أبي مدين شعيب مكانة ومنهاج، مرجع سابق

ص 199

بحسن الإصغاء والشعور بالحاجة إلى العلم، ومع أهل المعرفة بالسكينة والتأمل، ومع أهل المقامات بالتوحيد والخضوع.

يؤكد أبو مدين أن هذه الآداب تشكل الأساس الذي يمكن المرید من بلوغ مقامات النهاية حيث يقول: من لم يقد بآداب البداية كيف تستقم له دعوى مقامات النهاية؟ ويعد خلق الزهد أبرز القيم التي تقوم عليها أخلاق وسلوكيات المرید في التصوف لذلك يشدد سيدي أبو مدين على أهميته، داعياً المرید إلى التحقق به والاتصاف به. وفي تعريفه للزهد، يقول: "الزهد العزوف عن الدنيا والإعراض عنها لحقارتها وتركها لاستصغارها ورؤية هوانها." كما يبين فضل الزهد في قوله: "الزهد فضيلة وفريضة، وقربة في الحلال."<sup>1</sup>

أي أن الزهد، في جوهره العميق، ليس مجرد خلق محمود أو مسلك روحي اختياري، بل هو ضرورة وجودية وفريضة قلبه على السالك في درب الحقيقة، إذ لا يتحقق القرب من المطلق إلا بالفكاك التدريجي من أسر الملك الزائل، حتى في الحلال الذي أبيع شرعاً. فالزاهد لا يزهد في الأشياء لذاتها، بل لأنه أدرك أنها ليست غاية، بل وسائط عابرة لا يصح التعلق بها، لأن التعلق يثبت في القلب شركاً خفياً يقطع الطريق بين الروح ومبدعها. فالزهد إذ ليس رفضاً للنعمة، بل تحريراً للنفس من عبوديتها، واختياراً للحرية التي لا تتحقق إلا بالفناء عما سوى الحق. ثم قال الشيخ أبو مدين لأحد الوعاظ الذي كان يعتمد في مواعظه على أسلوب التهيب "لا تقنط الناس وذكرهم بأنعم الله تعالى."<sup>2</sup>

1- بالختير بومدين، الأبعاد النفسية للتصوف عند أبي مدين شعيب التلمساني من خلال قصائده وأقواله، جامعة تلمسان مجلة الفكر المتوسطي عدد خاص العدد 6 سبتمبر 2013 ص 257  
2- عبد الحلیم محمود شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، مرجع سابق ص 102

يعني إياك أن تكون سببا في قنوط الناس أو في انطفاء نور الرجاء في قلوبهم؛ فلا تملأ مسامعهم بوعيد يغلق أبواب الأمل، ولا تحملهم شعورا بأن رحمة الله بعيدة عنهم أو أن تقصيرهم لا يغتفر. بل كن مذكرا دائما بجميع نعم الله وسعة عفوه، وأنقل لهم صورة الحق كما وصف نفسه: غفور رحيم، تواب كريم، يفرح بعبده إذا عاد إليه، ويغمره بفضله وإن طال بعده. فالبشر بطبعهم يضعفون، وما ينهض أرواحهم من كبوتها إلا الإحساس بأن الله قريب مجيب، يحب أن يؤمل ويرجى، وأن رحمته أسبق من غضبه. لذلك، اجعل خطابك للقلوب جسرا إلى الرجاء، لا سجنًا في اليأس.

#### المطلب الرابع: رفض المغالات في الكرامات:

كان أبي مدين شعيب من العلماء الذين رفضوا المبالغة في الحديث عن الكرامات، إذ كان يؤمن بأن التصوف الحقيقي لا يقوم على البحث عن الخوارق والظواهر العجيبة، بل على تهذيب النفس، وتركيتها، والالتزام بالعبادة الخالصة لله. وقد أكد في منهجه أن الكرامات ليست معيارا لفصل العبد أو قربه من الله، بل قد تكون ابتلاء واختبار للمريد، ليرى إن كان سيظل ثابتا على طريق الحق أم سينشغل بها عن جوهر السلوك الصوفي. لذلك، شدد على ضرورة التمسك بالشرعية والالتزام بالأخلاق الفاضلة، والاجتهاد في الطاعة، معتبرا أن الإخلاص والصدق في العبادة هما السبيل الحقيقي لنيل رضا الله، وليس أن تفاخر بالكرامات أو السعي وراءها.

كان الشيخ أبي مدين شعيب يميل، بعد عودته من المشرق، إلى العزلة للتفرغ للعبادة والتأمل، وقد عبر عن ذلك بقوله: "قل لأبي مدين بث العلم ولا تبال ترتع غدا مع العوالي، فإنك في مقام آدم أبي الذراري، فقلت له: كنت عزمت على الخروج للجبال والفيافي حتى أبعث العمران، ورؤياك هذه تعدل بي عن هذا العزم وتأمري بالجلوس".<sup>1</sup>

1- الأبعاد النفسية للتصوف عند أبي مدين شعيب التلمساني من خلال قصائده وأقواله، د-بلخثير بومدين ص 250

وبهذا رفض أبو مدين المبالغة في الحديث. وأعلن موقفه الراض للمغالاة في الكلام، منتقدا كل إفراط في التعبير أو تجاوز للحدود في الحديث، إذ رأى أن المبالغة تجرد القول من صدقه وتنقله بما لا حاجة له، وتخرج به عن ميزان الحكمة والاعتدال الذي ينبغي أن يضبط الكلام، خاصة في السياقات التي تتطلب التواضع والصدق.

### المبحث الثالث: الأسس الروحية التي دعى لها أبي مدين شعيب (الزهد - الطهارة الروحية - الفكر والتأمل)

المطلب الأول: الزهد:

أولاً: الزهد لغة:

الزهد: الزهادة والزهادة في الشيء: خلاف الرغبة فيه.<sup>1</sup>

الزهد في معناه اللغوي: يعني قلة التعلق بمتاع الدنيا أو الإعراض عنها، وذلك إما لاحتقارها واعتبارها شيئاً زائلاً لا يستحق الانشغال به، أو بدافع الخوف من الله عزوجل، وقد يكون الزهد أيضاً مظهراً من مظاهر التعبد والتقوى من خلال الالتزام بالطاعة والانصراف عن الشهوات.<sup>2</sup>

ثانياً: الزهد اصطلاحاً:

<sup>1</sup>- معجم الوسيط ج 2 ص 403

<sup>2</sup>- أشواق تربية، الزهد في شعر أسامة بن منقذ ( أطروحة دكتوراه، جامعة بسكرة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية دت ) ص 341

يعد مفهوم الزهد من المفاهيم المعقدة التي يصعب الإحاطة بها بشكل حاسم، الأمر الذي جعل العديد من الباحثين يعجزون عن تقديم تعريف قاطع أو رأي موحد بشأن اسمه أو معناه أو تطوره عبر العصور، فضلا عن ماهيته وجوانبه المتعددة. وقد أدى هذا التعقيد إلى تنوع الأقوال حوله، فتقاربت أحيانا وتباعدت أحيانا أخرى، بحسب زاوية النظر والمقاربة الفكرية لكل باحث. ومع ذلك، فإن أغلب تعريفات والمفاهيم التي دارت حول الزهد تلتقي عند نقاط أساسية، أهمها : تطهير القلب من التعلق بالدنيا وزخرفها، والابتعاد عن التعلق بما هو موجود فيها، وعدم التعسف على ما فقد منها، إلى جانب الإقلاع عن المعاصي، والابتعاد عما يشغل النفس عن ذكر الله والتقرب إليه.<sup>1</sup>

الزهد هو الامتنان عن ارتكاب المعاصي والابتعاد عن الذنوب، إضافة إلى الخلي عن كل ما يزيد عن الحاجة الأساسية للإنسان، أي عدم التعلق بما هو زائد عن ضروريات الحياة. كما يشمل أيضا ترك كل ما يشغل النفس ويجلب لها الراحة المؤقتة في الدنيا، وذلك رغبة في تحقيق الراحة الحقيقية والدائمة في الآخرة، من خلال الإقبال على الطاعة وطلب رضا الله تعالى.<sup>2</sup>

كما يراه أبو مدين شعيب، المتصوف الأندلسي الشهير، يعد من الركائز الأساسية في منهجه الصوفي، فهو لا يقتصر على مجرد التخلي عن ملذات الدنيا وترك متاعها، وإنما يتجاوز ذلك ليكون حالة روحية عميقة، تتمثل في تحرير القلب من أي تعلق بغير الله، فالحقيقي في الزهد، وفق رؤيته، لا يمكن في الفقر أو الحرمان المادي، بل في قدرة الإنسان على عدم الانشغال بالدنيا وشهواتها، بحيث يبقى قلبه متجها نحو الله وحده، غير مفتون بزخارف الحياة الفانية.

1-أميرة بريهيوم، " الزهد وبواعثه عند أبي العتاهية أبي إسحاق الألبيري"، مجلة الآفاق للعلوم، جامعة أم البواقي، د ت ص 173

2-أشواق تريعة، الزهد في شعر أسامة بن منقذ، مرجع سابق ص 341

فقد كان رجلاً زاهداً وفاضلاً، تميز بمعرفته العميقة بالله تعالى، حيث سلك طريق التصوف بصدق وإخلاص، فحاض في بحار الأحوال الروحية، وتعمق في أسرار المعارف الإلهية، لاسيما في مقام التوكل في مقام التوكل، الذي بلغ فيه درجة رفيعة لادرك شأنه فيها، ولأنخفي آثاره على السالكين. كما كان واسع الاطلاع في العلوم، ينهل منها بسخاء، لكنه إلى حاله مع الله بخاتمة مباركة على هذا النهج. لقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۗ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۗ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۗ﴾<sup>2</sup>

وقال أيضا: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۗ﴾<sup>3</sup>

كان شديد الخشية من الله عزوجل، تملأ قلبه رهبة من عظمته وعقابه، ولم يكن هذا الخوف مقتصرًا عليه فحسب، بل كان دائما ما يحث الناس على التوبة والرجوع إلى الله محذرا إياهم من عذاب جهنم وأهوالها ومن شدة حرها وما ينتظر العصاة فيها من عقاب أليم، كان خطابه مفعما بالتذكير بسوء عاقبة الذنوب، يدعوا الناس إلى تقوى الله، ويرسم لهم صورة واضحة عن العذاب الأخروي، حتى تزداد قلوبهم خشية وخضوعا لله تعالى، وفي هذا قال الشيخ أبو مدين شعيب للشيخ الذي كان معه: "لا تقنط الناس وذكرهم بأنعم الله تعالى. فقال: لا أقدر إلا على هذا."<sup>4</sup>

إذا تاب الإنسان والتزم بالورع وعاش حياة الزهد، فإنه يكون قد اجتاز مرحلة مهمة في التهيئة لبدء طريق التصوف. فالورع والزهد يجبر أنه من العوائق المادية التي

1- أحمد التوفيق التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي مرجع سابق ص 319

2- سورة الحديد الآية: 20

3- سورة القصص الآية: 77

4- ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقيير محمد الفاسي أودلف فور ص 28

تحول بينه وبين السير إلى الله. غير أن الوقوف عندهما يجعل الإنسان مجرد ورع زاهد، وليس صوفيا حقيقيا. لذلك، فإن كان الورع والزهد يمثلان تهيئة ناجحة من الجانب المادي، فلا بد أيضا من تهيئة موازية من الجانب النفسي.

إذا كانت التوبة تشكل أساسا راسخا للورع والزهد، فإنها في الوقت ذاته تمثل قاعدة متينة للتهيئة النفسية. فالتوبة التي يقبل عليها الإنسان لا تكون صادقة. وفي هذا السياق، يقول أبي مدين قولاً يعبر بوضوح عن هذه الحقيقة. "من لم يجد في قلبه زاجرا فهو خراب." أي من لم يشعر في أعماق قلبه بوازع يردعه عن الخطأ، ويمنعه من التماذي في المعصية أو الغفلة، فذلك القلب أقرب إلى الخراب، لأنه قد تعطلت فيه أنوار البصيرة، وفقد منه الحياء من الله، وانطمس فيه أثر التوجيه الداخلي الذي يعد علامة على حياة الروح ويقظتها. فالقلب الذي لا ينهي صاحبه عن الانحراف، هو قلب خال من التقوى، ومجرد من نور الهداية، كبيت مهجور خلا من الأهل والأمان. فإذا كان الدافع الداخلي هو الأساس الذي يحث الإنسان على التوبة، فلا بد من تحققه لضمان التوبة.

### المطلب الثاني: الطهارة الروحية:

الطهارة الروحية عند أبي مدين شعيب تعني الصفاء القلبي والتخلي عن الشوائب الدنيوية التي تعيق الإنسان عن السمو الروحي والتقرب إلى الله.

بينما ينتقل الشاعر الصوفي بين أحوال الخوف والشوق والحب، وحالات الجمع والفرق، والغيبة والحضور، والفناء يسمو بروحه متجليا بنورانيته الإلهية، فيعبر عن ذلك شعرا يمتلئ نورا وشوقا واحتراقا في مقامات الصبر والشكر والرجاء والتوكل واليقين وهكذا يظهر أبو مدين وقد تحرر من ذاته، غارقا في حب المحبوب، حيث يمتد في وجوده

1- عبد الحلیم محمود شیخ الشیوخ أبو مدين الغوث حیاته ومعراجه إلى الله مرجع سابق ص 75

ليذوب في ذات المحبوب، معبرا عن تجربة حب تتجاوز حدود الذات لتتصل بحقيقة الوجود.<sup>1</sup>

إليك مددت الكف في كل شدة  
وأنت ملاذي والأنام بمعزل  
ومنك وجدت اللطف في كل نائب  
وهل مستحيل في الرجاء كواجب  
فحقق رجائي فيك يارب واكفني  
شمتا عدو أو إساءة صاحب<sup>2</sup>

فقد كان أبو مدين منفتحا على العلم، دائم المراقبة لنفسه، كثير التوجه إلى الله بقلبه، حتى من الله عليه بخاتمة طيبة على هذا الحال. "حيث قال أبو العباس زروق: "كان يدخل خلوته ب: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير."<sup>3</sup> وهذا معناه أنه إذا دخل خلوته، أغلق على قلبه أبواب الدنيا، وانفرد بربه.

فقد كان هذا الذكر مفتاح حضوره، وسر صفائه، يتردد على لسانه لا مجرد تكرار، بل بخشوع القلب وانسلاخ الروح عن شواغل العالم، كأنه يحلق بمعاني التوحيد في فضاء لا يسكنه إلا الله، متطهرا من كل تعلق سوى وجهه الكريم. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٤﴾

1- عروس حسام، بوحلايس سلاف، الحضور الإلهي في شعر أبي مدين شعيب التلمساني، مجلة النص، المجلد 08 العدد 01 السنة 2022 ص 225

2- عبد القادر سعود، سليمان القرشي، ديوان أبي شعيب الغوث دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2006، ص 13

3- شيخ الشيوخ سيدي أبو مدين التلمساني المغربي، شرح الحكم الغوثية، مرجع سابق ص 7

4-سورة الأعراف: الآية 92

وحديث أبي مدين عن الإخلاص يتميز بجماله و عمقه، وكلماته تعكس تجربة روحية صادقة. فهو يتحدث بأسلوب وجداني ونفسي عميق، حيث يقول: "الإخلاص ما خفي على النفس درايتة، وعلى الملك كتابته وعلى الشيطان غوايته، وعلى الهوى إمالتة".<sup>1</sup> ويقصد في هذا أن الإخلاص هو تلك الحالة الروحية العميقة التي تخفي نفسها حتى عن إدراك النفس ذاتها، فلا تشعر به ولا تزهر بوجوده، كما أنه من شدة خفائه وصدق نواياه لا تبلغه الملائكة لتكتبه في صحائف الأعمال، ولا يستطيع الشيطان أن يصل إليه ليفسده أو يضلّله، ولا يجد فيه الهوى منفذا ليحرّف مقاصده أو يميل صاحبه عن وجهته؛ فهو عمل قلبي خالص لا يشوبه نظر إلى الخلق، ولا تشوبه رغبة في ثناء، إنما هو توجه صاف إلى الله وحده، لا يراه إلا هو.

يحدد أبو مدين للإخلاص علامة واضحة، حيث يقول: أن من دلائل الإخلاص أن يغيب الإنسان عن رؤية الخلق، منشغلا بمشاهدة الحق.

الدهر بحر له عجائب وهو خطيب لمن نظر

فاطرح الغير عنك وجانب وخذ على نفسك الحذر<sup>2</sup>

يتحقق الحب والهوى عند الصوفيين من خلال الفناء، وهو الذوبان التام في المحبوب، بحيث لا يدرك العاشق ذاته إلا من خلاله. وهذا لا يكون إلا عندما يرى العاشق المحبوب في ذاته، حيث تصبح "الأنا" بمثابة مرآة تعكس صورة الآخر المحبوب. في هذه الحالة،

لا يعود العاشق منفصلا عن محبوبه، بل يرى وجوده متجسدا فيه، فتذوب

الحواجر بينهما، ويصبح الإدراك قائما على الاتحاد الروحي بين الذات والمحبوب.<sup>3</sup>

1- عبد الحليم محمود شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، مرجع سابق ص 69

2- عبد القادر سعود، سليمان القرشي، ديوان أبي مدين شعيب الغوث مرجع سابق ص 59

## المطلب الثالث: الفكر والتأمل:

الفكر والتأمل عند أبي مدين شعيب يحتلان مكانة مركزية في تجربته الروحية والتصوفية، فقد كان من كبار المتصوفة في الغرب الإسلامي. وقد عرف بزهده وورعه وعمق نظره في أسرار النفس والكون.

بنى أبي مدين شعيب مذهبه على فكرة التوحيد والفناء، حيث يعد التوحيد القطب المركزي الذي يدور حوله مذهبه، أما الفناء في التوحيد هو الأساس الذي أقام عليه رؤيته الصوفية. فالتوحيد عنده سر يسكن القلب، ووطن يستقر فيه الوجدان، وهو المبدأ والمنتهى، والأساس الذي تبنى عليه السلوكيات. وعند الصوفيين، التوحيد هو الشهادة اليقينية بأن الله هو الأول في كل شيء، والأقرب إلى كل شيء.<sup>1</sup>

أما في سياق حديثه عن معرفة الله يقول أبو مدين من لم يكن بالأحد، لم يكن بأحد. ويضيف أيضا: "من أنس بالخلق استوحش من الحق." ويعد هذا القول إشارة صوفية عميقة إلى ضرورة انتقال العبد من التعلق بالكائنات إلى التوجه نحو المكون، أي الله سبحانه وتعالى. فالحكمة لا تكمن في التعلق بالمخلوقات والمظاهر، بل في

إدراك أن الانتفاع الحقيقي بما في الكون لا يتحقق إلا بالرجوع إلى مصدره، وهو الخالق جل وعلا. ومن هذا المنطلق، فإن السر الروحي عند الصوفي يمر عبر تجاوز ظاهر الأشياء نحو حقيقتها الإلهية، أي الانتقال من الكائن إلى المكون.<sup>2</sup>

<sup>3</sup>- عروس حسام، بوحلايس سلاف، الحضور الإلهي في شعر أبي مدين شعيب التلمساني، مرجع سابق ص 226

<sup>1</sup>- المرجع نفسه، ص 225

<sup>2</sup>- بلختير بومدين، الأبعاد النفسية للتصوف عند أبي مدين شعيب التلمساني من خلال قصائده وأقواله مرجع سابق ص

ومن أبرز تعاليمه التي وجهها لأصحابه قوله: "أعلنوا بالطاعة، حتى تكون كلمة الله هيا العليا، كما يعلن أولئك بالمعاصي دون حياء من الله." <sup>1</sup> أي بكل وضوح وصدق، عبروا عن طاعتكم لله واطهروا التزامكم بأوامره، حتى تسود كلمته وتعلو شريعته، كما لا يتردد أهل المعصية في إعلان فجورهم وارتكابهم للمحرمات جهارا، دون أدنى خجل أو خشية من الله.

وكان يستشهد في ذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ <sup>2</sup>.

فابتعد عن التعلق بالأكوان والمخلوقات، ووجه قلبك بكل إخلاص نحو مشاهدة وجه الرحمن، فهناك تكمن الغاية الحقيقية والمعنى الأسمى للوجود. اجعل رغبتك متجهة دوما إلى ربك، فالرغبة فيه وحده هي التي تمنح القلب السكينة والدوام. وإذا دخلت في عبادة، فلا تلتفت إلى ما سواها، ولا تحدث نفسك بالانصراف عنها، بل استغرق فيها بكل جوارحك، وقل متمنيا: "يا ليتها كانت القاضية." أي ليت هذه اللحظة المباركة تختتم بها حياتي، لما فيها من القرب والصفاء والخشوع بين يدي الله. <sup>3</sup>

توجه أبو طالب إلى أبي مدين قائلا: يا أبا مدين حدثني عن سر حياتك؟ فقال له: "بسر حياته ظهرت حياتي، وبنور صفاته استتارت صفاتي، وبنور أسمائه استتارت أوصافي، وبديمومته دامت مملكتي، وفي توحيده أفنيت همي." <sup>4</sup>

أي أنه بسر حياته الذي لا يعلمه إلا هو انبثقت حياتي، فوجودي لم يكن إلا إشراقا من وجوده، وبه تحقق لي معنى الحياة. وبنور صفاته العليا أشرقت صفاتي، فصار ما في من جمال أو كمال ظللاً لتلك الصفات الإلهية العظمى التي تنعكس على من تعلق به. وبضياء أسمائه الحسنی أضاءت أوصافي، فصار في كياني أثر من سعة رحمته، وعدله،

1- عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر مرجع سابق ص 83

2- سورة الشرح الآية: 7

3- عامر النجار الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها ورواها مرجع سابق ص 84

4- شيخ الشيوخ أبي مدين التلمساني المغربي شرح الحكم الغوثية، مرجع سابق ص 20

وحكمته. وبدوام وجوده، الذي لا يعتريه فناء، استقرت مملكتي الداخلية وثبتت، فكان اتصالي به سبب خلودي الروحي. وفي توحيده الخالص، حيث لا معبود سواه، ذاب قلقي وفني همي، إذ لم يبق في القلب مكان لغيره، فاسترح من الاضطراب، واستقر من حضرة اليقين. فالوجود به راسخ ومستقيم.

# الفصل الثالث



## الفصل الثالث: الصوفية بين الفكر والممارسة

### المبحث الأول: الممارسات الروحية لأبي مدين شعيب

الزهد

الخلوة والاعتزال

التوبة والمحاسبة

### المبحث الثاني: تعاليمه في العلاقة مع الله

الحب الإلهي والإخلاص في العبادة

الاتصال الدائم بالله ومراقبته

حال القلب مع الله في العبادة

### المبحث الثالث: امتداداته وتأثيره على اللاحقين

امتداداته الجغرافية

امتداداته الروحية

تأثيره على اللاحقين

### الفصل الثالث: الصوفية بين الفكر والممارسة عند أبي مدين شعيب.

يعتبر أبي مدين شعيب من أبرز الشخصيات المحورية في ترسيخ الفكر الصوفي كمنهج روحي وسلوكي متكامل. فقد جمع بين التجربة الروحية العميقة والتأصيل النظري، مما جعله نموذجاً فريداً للتصوف المتوازن الذي يجمع بين الفكر والممارسة. فقد إلى تهذيب النفس وتزكيته عبر مقامات السلوك الصوفي كالتوبة، والزهد، والتوكل، والمحبة، لكنه لم يكتف بالدعوة النظرية، بل جسد هذا الفكر في حياته، وتعليمه، وعلاقته بمريديه. غير أن التصوف، كما مارسه أبو مدين، لم يكن خالياً من التحديات، فقد كان بين مد وجزر في علاقته بالمؤسسة الدينية والسياسية، كما أسىء فهمه أحياناً من قبل العامة أو المتطرفين. لذا يطرح السؤال: إلى أي حد استطاع أبو مدين أن يجسد الإنسجام بين فكر التصوف وممارسته؟

ما مدى تأثير تجربته في بناء تصوف معتدل يجمع بين البعد الروحي والبعد العملي؟

#### المبحث الأول: الممارسات الروحية لأبي مدين شعيب

##### أولاً: الزهد

لقد بلغ أبو مدين - كما يورد صاحب كتاب أنس الفقير وعز الحقيير - مرتبة رفيعة في ميادين الزهد والتحقيق، إذ وصل إلى مقام سام جعله قدوة للمتنقين، وأسوة يحتذى بها من طرف العارفين والمحققين، فاقتدى به الزاهدون، ولأزمه المخلصون الذين صدقوا في طلبهم للسلوك والتركية. وقد أولى أبو مدين للزهد عناية خاصة، فكان يتعمق في معانيه ويفصل القول فيه، مبيناً حقيقته ومقاصده، مما يدل على مدى رسوخ تجربته الصوفية وحرصه على ترسيخ هذا المبدأ في نفوس أتباعه ومريديه ويقول في ذلك: "الزهد فريضة وفضيلة وقربة: فالفرض في الحرام، والفضل في المشابه، والقربة في الحلال.."<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - عبد الحلیم محمود شیخ الشیوخ أبو مدين الغوث، مرجع سابق ص 22

وقد تحدث أبو مدين بإسهاب عن الأسس التي يقوم عليها التصوف الحقيقي، وبين أن الزهد يعد أحد أعمده الأساسية، بل أكد أنه لا يمكن للتصوف أن يتحقق أو يكتمل في غياب هذا الأصل الجوهرية. وقد ذهب إلى أبعد من ذلك، حين رأى أن الاستعداد لتلقي علوم التصوف وسماعها بشكل نافع لا يكون متاحا لكل الناس، بل يشترط في المتلقي صفات معينة، في مقدمتها الزهد في الدنيا. واعتبر أن الزهد كما يراه الصالحون، مستمد من قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾<sup>1</sup> باعتباره جوهر من جواهر السلوك الروحي، ودليلا على تحرر القلب من التعلق بزخارف الحياة.<sup>2</sup>

ذات يوم، وأثناء أحد مجالسه التي كان يعقدها مع مرديه وأتباعه، قال أبو مدين شعيب مقولة تعبر عن فهمه العميق بتوازن العطاء الإلهي، حيث أكد: إن الله تعالى كما يهب الآخرة لعباده، فإنه يهب لهم الدنيا أيضا، فهما معا من فضل الله ورحمته. ثم أرفد موجها كلامه للحاضرين: فمن كان منكم له حاجة تتعلق بأمر الدنيا، فلاحرج عليه أن يذكرها، وسنقوم جميعا بسؤال الله تعالى أن يقضيها له، كما نسأله أمور الآخرة، فالله كريم في عطائه للدنيا والآخرة معا.<sup>3</sup>

يرى أبو مدين أن الزهد يعد بمثابة عافية للروح وراحة للنفس، ويؤكد أن الإنسان إذا تاب توبة صادقة، والتزم بالورع، وسلك طريق الزهد، فإنه يكون قد تجاوز مرحلة مهمة من مراحل الإعداد الروحي، التي تهيئه للدخول في عالم التصوف. فالورع والزهد يمثلان خطوة حاسمة في تخليص السالك من العقبات المادية التي تحول دون توجهه الصادق إلى الله تعالى. غير أن أبا مدين ينبه إلى أن الوقوف عند حدود الورع والزهد لا يجعل المرء صوفيا بالمعنى الكامل، بل يجعله ورعا وزاهدا فحسب. ولذلك، فإن كان الزهد تمهيدا ضروريا من

<sup>1</sup> - سورة الحديد، الآية: 23

<sup>2</sup> - عبد الحلیم محمود، شیخ الشیوخ أبي مدين الغوث، مرجع سابق ص 74

<sup>3</sup> - محمد الفاسي، أدولف فور، أنس افقير وعز الحقير، مرجع سابق ص 22

الجانب المادي، فلا بد أيضا من تمهيد نفسي وروحي، يظهر القلب ويعدده لسلوك طريق التصوف الحقيقي.<sup>1</sup>

ولذلك فأبو مدين كان يقول: "أسس هذا الشأن على الزهد والاجتهاد".<sup>2</sup>

### ثانيا: الخلوة والاعتزال

أسس أبو مدين طريقته الصوفية المعروفة بالطريقة المدنية، وهي طريقة تعتمد في ممارساتها الروحية على الجهر بذكر الجلالة، أي التلفظ العلني بإسم الله، في الذكر الجماعي والفردى. وكان أبو مدين باعتباره الإمام والمرشد الأعلى لهذه الطريقة، يحرص على إظهار الصدقة علنا، ورفع صوته بذكر الله في المجالس العامة، تأكيدا على أهمية الذكر الجماعي وتقوية الرابط الروحي بين العبد وربيه. أما السالك الذي ينضم إلى الطريقة، فكان يوجه إلى التمسك بالأشد في مجاهدة النفس وترويضها، حيث يربى على الصبر والتقشف، والالتزام بالآداب الصوفية الدقيقة. ومن أبرز آداب هذه الطريقة، أداء ركعتين نفلا بعد تناول الطعام، تعبيراً عن الشكر لله، إلى جانب المواظبة على تلاوة سورة الملك لما لها من فضل في التزكية والحفظ.<sup>3</sup>

وكان الدخول إلى الخلوة وهي العزلة الروحية للتأمل والذكر يتم عبر التفرغ للترديد المستمر للذكر: لا إله إلا الله، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وكغيرهم من المتصوفة، اعتمد أتباع الطريقة المدنية على استعمال السبحة كأداة لضبط عدد الأذكار، وتنظيم أوقات الذكر، وتعبيراً عن انضباطهم والتزامهم بالسلوك الروحي المنهجي.<sup>4</sup>

قال الشيخ أبو مدين، واصفاً منهجه في التلقي والسلوك الروحي: كنت إذا حضرت مجلس علم، وسمعت تفسير آية من كتاب الله تعالى، وكان معها حديث واحد فقط من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، اكتفيت بهما، وقنعت بما سمعت دون أن أطلب المزيد.

<sup>1</sup> - عبد الحليم محمود شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث، مرجع سابق ص 75

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ص 76

<sup>3</sup> - عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، مرجع سابق ص 84

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ص 84

ثم أنصرف مباشرة من فاس، متوجها إلى مكان خال من الناس، حيث أتخلى بنفسه في عزلة تامة. وهناك، أبدأ في تطبيق ما فتح لي من معان ودلالات روحية مستنبطة من تلك الآية وذلك الحديث، وأجتهد في العمل بهما عمليا. وبعد أن أقضي وقتا في التأمل والتطبيق، أعود مرة أخرى إلى مدينة فاس، فأتلقي آية أخرى وحديثا جديدا، ثم أغانر إلى خلوتي لأواصل هذا النهج في التربية والسلوك، جامعا بين العلم والعمل، والفهم والتطبيق، في سعي دائم إلى القرب من الله تعالى.<sup>1</sup>

### ثالثا: التوبة والمحاسبة

يعد أول ما ينبغي على السالك أن يخطو إليه في طريقه إلى الله، كما يرى الشيخ أبو مدين وعدد من أعلام التصوف، هو التوبة. فقد كان أبو مدين يكذب دائما أن بداية السير إلى الحق تبدأ بصدق التوبة والرجوع إلى الله، إذ يرى أن التوبة تطهر القلب وتمهد النفس للسلوك الروحي الصحيح فيقول: "طلب الإرادة قبل تصحيح التوبة غفلة."<sup>2</sup> أي أن يسعى المرء إلى تحصيل الإرادة في السير إلى الله قبل أن يصلح توبته ويصح رجوعه إلى الحق، يعد من قبيل الغفلة؛ إذ لا تصح الإرادة الصادقة ما لم تبين على توبة نصوح تمهد الطريق للسلوك القويم.

ومن الضروري أن يبدأ السالك في طريقه إلى الله بتصحيح التوبة قبل كل شيء، إذ يؤكد الشيخ أبو مدين على هذا الأمر ويستخدم تحديدا عبارة "تصحيح التوبة"، مشيرا إلى أن التوبة لا تكون صادقة إلا إذا تضمنت رد المظالم إلى أصحابها وأداء الحقوق إلى أهلها. ويعد هذا التصحيح شرطا أساسيا لقبول التوبة، فلا معنى لتوبة يتجاهل صاحبها حقوق العباد. كما أن تصحيح التوبة لا يقتصر على ذلك، بل يشمل أيضا الإخلاص في أداء حقوق الله، وذلك من خلال الالتزام بطاعته والابتعاد التام عن ما نهى عنه. ويضيف أبو

<sup>1</sup> - محمد الفاسي، أدلوف فور، أنس الفقير وعز الحقير مرجع سابق ص 14

<sup>2</sup> - عبد الحليم محمود، شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث مرجع سابق ص 68

مدين في حديثه عن الطاعات، مبينا أن الطاعة الخالصة هي جزء لا يتجزأ من التوبة الصحيحة ومن السير الجاد نحو الله. " من أهمل الفرائض فقد ضيع نفسه."<sup>1</sup>

وإذا ما أخلص السالك في تصحيح توبته وفق ما تقتضيه التوبة الصادقة، فإن ذلك يقوده بالضرورة إلى الإكثار من العناية بتصحيح النية، إذ أن النية تمثل أساس العمل وأصله. ولاغرو في ذلك، فالنية لم تعد من أعظم مقامات القلوب، وقد ورد في الحديث الشريف: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى. وهو من أسمى وأشمل ما قيل في شأن النية، لما يتضمنه من معان جلية تربط بين باطن الإنسان وظاهره، وتظهر أن صلاح الأعمال متوقف على صدق النية وإخلاصها لله تعالى.<sup>2</sup>

لقد تناول أسلافنا الصالحون، رضوان الله عليهم، موضوع المحاسبة بعناية واهتمام بالغ، إدراكا منهم لأهميتها في تركية النفس وتقويم السلوك. ومن أبرز من عرف بهذا المقام الإمام الحارث بن أسد المحاسبي، الذي اشتق لقبه من كثرة محاسبته لنفسه، فقد كان لا يغفل عن محاسبتها على أدق الأمور، صغيرها وكبيرها. وقد ألف في هذا الباب كتابا مهما يبرز فيه مدى دقته في المحاسبة، ويظهر أثرها في تهذيب النفس وتوجيهها.

أما الشيخ أبو مدين، فقد كان يؤكد على هذا المعنى بقوله: بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة، مشيرا إلى أن المحاسبة تمثل الخطوة الأولى والأساسية للوصول إلى مقام المراقبة، وهو مقام عظيم يقوم على استشعار العبد الدائم أن الله تعالى مطلع عليه ويراه في كل حال.<sup>3</sup> وهذا ما عبر عنه الحق سبحانه وتعالى في قوله الكريم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.<sup>4</sup> ليرسخ في النفوس أن المراقبة ليست سوى ثمرة من ثمار اليقين بأن الله حاضر لا يغيب، عليهم لا يجهل، مطلع لا يغفل.

<sup>1</sup>- المرجع نفسه، ص 68

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 68

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص 76

<sup>4</sup>-سورة النساء، الآية 01

### المبحث الثاني: تعاليمه في العلاقة مع الله

تميزت تعاليم الشيخ أبي مدين شعيب رحمه الله بتركيزها العميق على الحب الإلهي والإخلاص في العبادة وجعلها جوهر السلوك الصوفي. فقد دعى إلى أن يكون هناك إتصال دائم بالله ومراقبته لنا وكان يركز على حال قلبه مع الله في العبادة.

#### أولاً: الحب الإلهي والإخلاص في العبادة

يعد الحب مقولة أساسية ضمن التصوف، ويعتبر أيضاً حالاً من الأحوال أو مقام من المقامات ذلك أن التجربة الصوفية تبنى على الحب فهو الدافع الأساس لخلق الوجود.<sup>1</sup>

كان الشيخ أبو يعزى هو الذي ساعد الشيخ أبو مدين على بلوغ المرتبة الصوفية الكاملة، وذلك من خلال ما غرسه فيه من التزام شديد بالصيام، وكثرة الصلاة، ودوام التقشف والإنقطاع عن متاع الدنيا. يتلمذ على يديه، واقتبس منه منهجه الروحي، ويقبل بكليته على العبادة والسير إلى الله، وظل على هذا الحال حتى نال قبس من روح أستاذه، واكتسب من نوره وسيرته ما مهده لبلوغ المقام الرفيع في طريق السالكين.<sup>2</sup>

فقد كان أبو مدين رضي الله عنه منصرفاً بكليته إلى تربية المريدين، ونصحهم، وتعليمهم معاني السلوك إلى الله، كما كان مشغولاً بالعبادة، مواظباً على الإقبال على الله تعالى في ظاهره وباطنه، لا يغفل عن حضرة ربه في حال من الأحوال. وقد كتب بعض العلماء والفضلاء عن كرامته وأحواله، كما نقل عنه كلام بديع ملئ بالحكم في أصول السلوك والتصوف، تميز بأسلوبه العجيب ومعانيه العميقة الخارجة عن المألوف. فإن في حفظ تلك المعاني والعمل بها سبيلاً إلى الإرتقاء في مراتب الأبرار، ومدخلاً إلى مقامات المقربين من الأخيار. وقد جعل الله تعالى من يسعى في هذا الطريق مهيناً للقرب منه، وجعل ذلك سبباً

<sup>1</sup> - ابن عربي، دراسات وأبحاث، رمز المرأة وأبعاده العرفانية في مقام الحب الإلهي- المرأة في ترجمان الأشواق ، مجلة دراسات وأبحاث/ المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية 12 عدد 2 أبريل 2020 ص 303

<sup>2</sup> - عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، مرجع سابق ص ص 82-83

للزلفى لديه، فهو سبحانه وحده ولي ذلك والمتفضل به، والقادر على تحقيقه لمن شاء من عباده.<sup>1</sup>

فمن داوم على ذكر الله بإخلاص، وواصل عليه بصدق، منحه الله من العلم ما لا يمكن أن يناله غيره، مهما بلغ من مقام في العلم الظاهري. ولم أسمع في زمني بأحد بلغ هذا المقام، وتحقيق به على وجه الكمال، كما تحقق به الشيخ أبو مدين رحمه الله، في مدينة بجاية. إذ اجتمع في شخصيه، في حياة دار التكليف، مظهران متقابلان: ظهور التوحيد في أوقات، وظهور آثار الشرك في أوقات أخرى، ولكن كان التوحيد مقيما في باطنه، ثابتا في فطرته، ملازما له في أعماقه. وكان دائم الرجوع إليه حتى عند لحظات الإختصار، قبل مفارقتة الدنيا، مما جعل زمن توحيده يغلب على زمن شركه، ويظهر فيه الصدق في النهاية.<sup>2</sup>

يعبر أبي مدين عن الإخلاص بعبارة بليغة وعميقة المعنى، فيقول: "الإخلاص ماخفي على النفس درايته، وعلى الملك كتابته وعلى الشيطان غوايته وعلى الهوى إمالته."<sup>3</sup> ومعنى ذلك أن الإخلاص الحقيقي هو ذلك العمل أو النية الخفية تماما، التي لا تدرك النفس فضلها فتصاب بالعجب، ولا يستطيع الملك أن يكتبها لأنها بين العبد وربه، ولا يمكن الشيطان من إفسادها أو الإطلاع عليها، ولا يميل بها الهوى نحو الرياء أو طلب المديح. إنه عمل صاف نقي، لا يشوبه شيء لغير الله، وهذا هو الإخلاص في أعلى درجاته.

كما يبين الشيخ أبو مدين علامة الإخلاص الصادق بقوله: "علامة الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق."<sup>4</sup> أي أن من دلائل الإخلاص أن لا يرى العبد من علمه أحدا من الخلق، ولا يلتفت إلى نظرات الناس أو رضاهم، بل يكون قلبه مشغولا بالله وحده، حاضرا بين يديه، مستحضرا عظمته، فلا يعمل إلا له، ولا يبتغي إلا وجهه.

<sup>1</sup> - محمد الفاسي، أدلوف فور أنس الفقير وعز الحقيير، مرجع سابق ص ص 17-18

<sup>2</sup> - ابن عربي محيي الدين، الفتوحات المكية. تح أحمد شمس الدين. ج 7 بيروت لبنان، دار الكاتب العالمية، د، ص 203

<sup>3</sup> - عبد الحليم محمود، شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث، مرجع سابق، ص 69

<sup>4</sup> - مرجع نفسه، ص 69

فقد عبر عن فهمه العميق للتصوف، والذي كان كثيرا ما يسميه "الفقر" إشارة إلى افتقار العبد الكامل إلى الله في كل شيء. وقد ورد عنه هذا التصوف في مواضع متعددة، لكن المميز أنه في بعض تعاريفه، ربط التصوف أو الفقر بالإخلاص، وجعله مرتبطا بتوحيده العبودية والاستعانة، ومن ذلك قوله: "الفقر أمانة على التوحيد ودلالة على التفريد".<sup>1</sup> أي أن الفقر الصوفي الصادق يدل على توحيد الله بالعبادة ويشير إلى تفريد الله بالاستعانة والاعتماد. وهذا هو بعينه معنى التحقق بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>2</sup> حيث لا يتوجه بالعبادة إلا إلى الله، ولا يطلب العون إلا منه وحده، في صفاء نيته وخصوص توجهه.

وبهذا يتناول أبو مدين الإخلاص بروحانية سامية تتسجم تماما مع ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إذ يقول الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾<sup>3</sup> إن الله لا يهدي من هو كاذب كفاراً<sup>3</sup> فالدين الخالص هو ذلك العمل الذي لا يشوبه أي قصد لغير الله، وهو ما يبرأ من كل أنواع الشرك، سواء الظاهر منها أو الخفي، ويخلو من شوائب النية في السرائر. وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى خطورة هذا النوع من الشرك، المعروف بشرك السرائر، محذرا بقوله: إياكم وشرك السرائر. فقول: وما شرك السرائر؟ قال: "الرياء". ومن يخلص دينه لله وحده، ويقوم بالصلاة، ويؤدي الزكاة، ثم يفارق الدنيا على هذه الحال، فقد نال الرضا الإلهي، كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم، البشير النذير، الذي بين أن من فارق الحياة بهذه الصورة فإن الله راض عنه.

ومن أجل المبادئ الإسلامية، يعتبر العمل الذي يقوم به الإنسان إذا كان مخلصا لله وحده، سبيلا لطلب الشفاعة من الله في الأوقات الصعبة والشدائد. حيث أن هذا الإخلاص في العمل يصبح سببا لتيسير الأمور وجلب الفرج بفضل الله ورحمته.<sup>4</sup>

" إذا ضاق صدري شكوت إلى الله." <sup>5</sup>

<sup>1</sup>- المرجع نفسه، ص 69

<sup>2</sup>- سورة الفاتحة، الآية: 05

<sup>3</sup>- سورة الزمر، الآية 03

<sup>4</sup>- عبد الحلیم محمود، شیخ الشیوخ أبي مدين الغوث، مرجع سابق ص ص 69-70

وفي هذا يبين أبو مدين عندما يشعر بأن قلبه مثقل بالحزن، ولا يجد من يفهمه أو يخفف عنه، يتوجه إلى الله وحده، يحكي له همومه ويشكو له ضيقه، لأنه الأعم بما في نفسه، وهو الرحيم القادر على أن يشرح صدره ويبدل ضيقه فرجا. وهذا في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>1</sup> أي مع كل شدة وضيق هناك تيسير وفرج من الله.

### المطلب الثاني: الإتصال الدائم بالله ومراقبته

إن حياة الإنسان لا تستقم ولا تطمئن إلا إذا كان له صلة دائمة بالله، وتوجه إليه في كل حين، ويستشعر مراقبته في السر والعلن. فالإتصال بالله يمنح القلب سكينته، ويزرع في النفس الطمأنينة، ويهذب السلوك لأن المؤمن إذا أيقن أن الله مطلع على أقواله وأفعاله، راقب نفسه، واستقام في طريق الحق. وذلك كان دوام الذكر، والدعاء، والخشوع، ومحاسبة النفس من أعظم وسائل الثبات على الإيمان والفوز برضا الرحمن.

لقد أسس الشيخ أبو مدين شعيب طريقته الصوفية باسم "الطريقة المدنية"، والتي لاتزال قائمة وتمارس حتى يومنا هذا. وتعتمد هذه الطريقة في جوهرها على الجهر بذكر لفظ الجلالة، كوسيلة للتقرب من الله وتطهير النفس. وكان أبا مدين رحمه الله يحرص على إظهار الذكر علنا في المجالس العامة، ويشجع أتباعه على الصدقة، ويعلمها بنفسه كقدوة للناس. وكان دائم التذكير بذكر الله في الملاء، ويكرر ذلك بثبات وإخلاص فكان يقول: "قل الله ثم ذرهم أغير الله تدعون"<sup>2</sup>

هذه الصفة العظيمة لا يستطيع أن يتحلى بها إلا الإنسان الذي تعمق في طريق التصوف، وتذوق معانيه الإيمانية والروحية الرفيعة. فهو إنسان قد سلم قلبه وعقله وجوارحه لله تعالى، فأصبح بكامل كيانه متعلقا به وحده، يخافه ويهابه، ولا يخشى أحدا سواه، لأنه أدرك أن القوة والهيبة والعظمة كلها بيد الله، فلا يخاف من الناس، بل يكون قلبه مطمئنا

<sup>5</sup>- أبي مدين شعيب ، ديوان أبي مدين شعيب الغوث، مرجع سابق ص 48

<sup>1</sup>- سورة الشرح، الآية: 05

<sup>2</sup>- عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، مرجع سابق ص 84

بذكر الله وخشيته<sup>1</sup>. لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>2</sup> فالذكر يعد ركنا أساسيا وقويا في طريق السير إلى الله - سبحانه وتعالى - بل هو بمثابة الأساس الذي لا يستغنى عنه في هذا الطريق الروحي، ولا يمكن لأي سالك أن يصل إلى حضرة الله ورضوانه إلا بالمداومة على ذكره تعالى. والذكر ينقسم إلى نوعين رئيسيين:

الأول هو ذكر اللسان، وهو أن يردد العبد اسم الله أو آياته بلسانه، وهذا الذكر يساعد على تعويد النفس على الإلتباه لله ويمهد الطريق لذكر أعمق.

أما الثاني فهو ذكر القلب، وهو أعظم وأعمق تأثيرا، لأنه يعني حضور القلب الكامل مع الله وشعور العبد بعظمته ومحبته في أعماق نفسه.

فإذا جمع العبد بين ذكر اللسان وذكر القلب معا، أصبح في أكمل حالاته، وبلغ درجة عالية من الصفاء في سلوكه إلى الله، لأنه يذكر الله بجوارحه وبقلبه في آن واحد، فيكون بذلك كاملا في وصف السالك الصادق.<sup>3</sup>

فما إن زال الله تعالى حجاب الجهل والعمى عن شاء له الهداية، حتى أدرك هذا العبد أن أحدا من الخلق لم يتوجه إلى الله بالدعاء في أوقات شدته إلا لأن نفسه، في قرارة الرخاء، كانت تعلم أن تقريج الكرب ودفح الضرر لا يكون إلا بيد الله وحده. وهذا هو جوهر التوحيد الخالص: أن يظهر صدق الإعتقاد بالله وحده عند اشتداد الأزمات. فالمشرك، رغم شركه، كان موحدا في لحظات الشدة، كما شهد الله سبحانه بذلك، إلا أنه في أوقات الرخاء لا تبدو عليه آثار هذا التوحيد الذي يحمله في قلبه. وعندما يصاب بالضرر يعود إلى ما هو راسخ في فطرته من توحيد خالقه، فيغيب عن مظاهر الشرك، ويظهر عليه الإخلاص في التوجه إلى الله وحده. وكل هذه الأحوال تجري ضمن حدود دار التكليف، حيث يبتلئ الإنسان

<sup>1</sup> - عبد الحلیم محمود، شیخ الشیوخ أبي مدين الغوث، مرجع سابق ص 52

<sup>2</sup> - سورة الرعد، الآية: 28

<sup>3</sup> - عبد الحلیم محمود، شیخ الشیوخ أبي مدين الغوث، مرجع سابق ص 88

ويختبر. ولكن مع الأسف، فإن غالبية من يعرفون بعلماء الرسوم لا يدركون الفضل الإلهي الذي لا ينال إلا بكرم الله.<sup>1</sup>

فلاتدع أحكام هذه الدار. -دار التكليف والابتلاء- تحجب بصيرتك عن المعنى العميق الذي أشير إليه في هذا المقام الشديد، فإنك إن تمسكت به، نفعك لا محالة، وإن ظننت أنه لا ينفعك، فاعلم أنه على أي حال لن يضرك. فقل به، واعمل به، وتوكل على الله في ذلك. فيجعلك الله حاكما في فهم هذه الحقيقة، كما جعل نفسه سبحانه شاهدا عليها. فإن لم تحكم بما بيناه فقد رددت شهادة العدل لقولة تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۗ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۗ فَأَنَّى تُصِرُّونَ﴾<sup>2</sup>

أي إن كنتم صادقين في أقوالكم، ولا تخفون ما تضره نفوسكم، فاعترفوا بما تجدونه في أعماقكم من يقين، بأنكم لا تلجأ في أوقات الشدة إلا إلى الله وحده. وإن خفي ذلك في ظاهر أحوالكم. فلا شك أنكم مصدقون في هذا الإقرار، لأن حالتكم في الشدة تكشف عما في قلوبكم من توحيد فطري. لكن يطرح السؤال هنا: هل أنتم تصدقون هذا الإيمان أيضا عندما تسألون عنه في حال الرخاء؟ أم أن تصديقكم يظهر فقط في لحظات الحاجة والإنكسار.<sup>3</sup>

وعندما يكثر العبد من محاسبة نفسه، ويراقب أفعاله وأقواله ويراجع نياته في كل ما يقوم به، فإنه بذلك يسير تدريجيا نحو مرتبة عالية في السلوك الروحي، وهي مرتبة المراقبة. فالمحاسبة المستمرة توقظ القلب وتجعله دائم الوعي بحضور الله، حتى يصبح العبد كأنه يرى الله في كل لحظة، ويستحي أن يعصيه. وهكذا، فمن خلال الإجتهد في محاسبة النفس، يصل العبد إلى درجة يشعر فيها بمراقبة الله له في السر والعلن، وهي من أعظم مراتب الإيمان والسير إلى الله.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- ابن عربي محيي الدين، الفتوحات المكية، تح أحمد شمس الدين، مرجع سابق ص 203

<sup>2</sup>- سورة يونس، الآية: 32

<sup>3</sup>- ابن عربي محيي الدين، الفتوحات المكية، تح أحمد شمس الدين، مرجع سابق ص 203

<sup>4</sup>- محمد الفاسي، أدلوف فور أنس الفقير وعز الحقيير، مرجع سابق ص 18

" من قهر النفس على ما تشتهي نال الرضا من ربه يوم الجزاء"<sup>1</sup>

فالإنسان يواجه الكثير من الرغبات، والميول تدفعه لفعل ما يحبه، حتى لو كان فيه معصية أو ضرر. ولكن من كان قويا على نفسه، جاهدها ومنعها من اتباع الشهوات والمعاصي، وحرص على أن يرضى الله في كل أفعاله، فإن الله سبحانه وتعالى يكافئه يوم القيامة بالرضا والقبول؛ قهر النفس هنا يعني أن الإنسان يجاهد داخليا، فيترك ما تحبه نفسه إذا كان يغضب الله، ويختار طاعة الله حتى ولو كان فيها مشقة أو مخالفة لهواه.

### المطلب الثالث: حال القلب مع الله في العبادة

إن العبادة الحقيقية لا تقتصر على أداء الحركات الظاهرة فقط، بل تتجاوز ذلك إلى ما هو أعمق وأصفي، وهو حال القلب مع الله أثناء العبادة. فالقلب هو مركز الإخلاص، ومحل النية، ومصدر الخشوع، ولذلك فإن حضور القلب أثناء العبادة يعد شرطا أساسيا لقبولها وكمالها. وإذا خلت العبادة من هذا الحضور، فإنها تصبح مجرد عادة لا تثمر أثرا في السلوك أو الروح.<sup>2</sup>

لقد كانت البداية الحقيقية تقوم على عزيمة صادقة راسخة في قلب أبي مدين، عزيمة دفعته إلى تحمل المشقات والمصاعب في سبيل الوصول إلى الهداية ونيل القرب من الله، دون أن يلتفت إلى ما في الطريقة من تعب أو عناء.

وكان يرافقه في كل مرحلة من مراحل هذه الرحلة، توفيق الله وعنايته سبحانه وتعالى، لأن الجهد البشري وحده لا يكفي دون سند إلهي.

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما مايجنى عليه اجتهاده.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - أبي مدين شعيب، ديوان أبي مدين شعيب الغوث، مرجع سابق ص 88

<sup>2</sup> - أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي الشافعي النقشبندي، شرح الحكم الغوثية لشيخ الشيوخ أبي مدين شعيب الغوث مرجع سابق ص 45

<sup>3</sup> - عبد الحلیم محمود، شيخ الشيوخ أبي مدين شعيب حياته ومعرجه إلى الله، مرجع سابق ص 51

ويقول القرآن الكريم التعبير الخالد الصادق: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝۱ ﴾<sup>1</sup>

إن كل نجاح أو توفيق يحققه الإنسان في حياته، سواء في علم أو عمل أو عبادة، لا يكون بقدرته الذاتية فقط، بل هو منحه وفضل من الله تعالى وحده. فالله سبحانه هو الذي ييسر الأمور، ويهدي إلى الخير، ويفتح أبواب النجاح لعباده، ولذلك يجب على الإنسان أن يعترف بأن كل ما يصيبه من توفيق هو من عند الله لا من نفسه.

وقد وفق الله إمامنا، حتى بلغ مقاما رفيعا جعله أهلا لأن يرشد غيره ويوجههم في طريق الحق والهداية، لما امتاز به من علم وتجربة وصفاء في السلوك.<sup>2</sup>

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۚ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝۳ ﴾<sup>3</sup>

إن هذه الصفة العظيمة لا يمكن أن يتحقق إلا لمن ذاق من معين التصوف الصادق، وسار في طريقه بصدق وإخلاص، حتى أصبحت كل جوارحه وقلبه موجهة إلى الله سبحانه وتعالى، لا يطلب شيئا إلا وجهه، ولا يخشى أحدا سواه. فقد امتلأ قلبه بخشية الله، وزهد في كل ما سواه، فصار عبدا خالصا لله في أقواله وأفعاله ونيته.<sup>4</sup> وقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝۵ ﴾<sup>5</sup>

وهذا معناه أنهم لا يخشون أحدا سوى الله، أي من اتحاده القلبي وانشغاله الكلي بجلال الله، فإن هذا المقام هو الذي وقفت عنده قدم الشيخ أبي مدين رضي الله عنه،

1- سورة هود، الآية: 88

2- عبد الحلیم محمود، شیخ الشیوخ أبي مدين شعيب حياته ومراحجه إلى الله، مرجع سابق ص 51

3- سورة يوسف، الآية: 108

4- عبد الحلیم محمود، شیخ الشیوخ أبي مدين الغوث حياته ومراحجه إلى الله، مرجع سابق ص 52

5- سورة الأحزاب، الآية: 39

حيث لم يتجاوزه، بل اكتفى بما تحقق له فيه من الكمال. أما غيره من السالكين، فقد مضوا في السير لإتمام المقامات الأخرى.<sup>1</sup> وقد اختار الشيخ أبي مدين أن يقف عند قوله تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>2</sup> إذ رأى أن كل ما في الكون من مخلوقات هو آيات تدل على الله، فهي دلائل وجوده وتوحيده، فرأى الإعراض عنها امتثالا للأمر الإلهي بالإعراض عن الخوض فيها.

فاستجاب الشيخ للأمر الإلهي، وأعرض بقلبه ونظره، وامتثل أمر مولاه، في حين اختار غيره من العارفين أن يقف مع أمر آخر.<sup>3</sup> في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَزَّهْمُ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾<sup>4</sup> فرأوا أن المطلوب ترك الخائضين في ضلالهم دون اعتراض، فامتثلوا لذلك وتركوا هؤلاء لمآلهم.

وحيثما سلطنا هذا المسلك، كشف الله الحجاب عن أبصارنا، فأبصرنا بعين الشهود من هو الخائض الإلهي زما حقيقة هذا الجمع لا يظهر الإثم أو الخوض إلا في إطار تجلي أسمائه وصفاته، كالعليم والحكيم والمضل والهادي. فثبتنا بهذا الكشف أن الجمع الذي نراه في الوجود هو جمع لله في أسمائه، والتوحيد الحقيقي لا يكون إلا بالرجوع إلى ذاته وهويته الأحدية، لا بالوقوف مع تجلي اسم من أسمائه فحسب.<sup>5</sup>

**المبحث الثالث: امتداداته وتأثيره على اللاحقين:**

**إمتداداته الجغرافية والروحية:**

يعد أبو مدين شعيب من أعلام التصوف في الغرب الإسلامي، وقد امتزجت شخصيته بجوانب دينية وروحية وثقافية جعلت تأثيره يتجاوز حدود الزمان والمكان.

**الإمتدادات الجغرافية:**

<sup>1</sup>- ابن عربي محيي الدين، الفتوحات المكية، تح أحمد شمس الدين مرجع سابق ص 209

<sup>2</sup>- سورة الأنعام، الآية: 68

<sup>3</sup>- ابن عربي محيي الدين، الفتوحات المكية، تح، أحمد شمس الدين، مرجع سابق ص 209

<sup>4</sup>-سورة الأنعام الآية: 91

<sup>5</sup>- ابن عربي محيي الدين، الفتوحات المكية، تح أحمد شمس الدين، مرجع سابق ص 209

## من الأندلس إلى المغرب والجزائر:

إنطلق أبو مدين شعيب في بداية مسيرته العلمية من موطن نشأته، متوجها نحو المغرب الأقصى طالبا للعلم والتزكية الروحية. وقد كانت أولى محطاته سواحل مدينة إشبيلية، حيث مكث هناك فترة من الزمن بصحبة أحد الزهاد، كما أشار. ثم غادر هذه السواحل متجها إلى مدينة إشبيلية نفسها، ليستكمل رحلته لاحقا نحو مدينة شريش، ومن هناك عبر مضيق جبل طارق انطلاقا من ميناء الجزيرة الخضراء، قاصدا الضفة المقابلة في شمال إفريقيا.<sup>1</sup>

كما ورد في كتاب حياة المرابط، فإن أبا مدين، هو أحد أعلام التصوف الشهرين، قد أتمحفظ القرآن الكريم في قريته التي نشأ فيها، قبل أن ينتقل إلى مدينة إشبيلية، حيث واصل طلب العلم، وتلقى دروسه على يد كبار علمائها وشيوخها في مختلف العلوم الشرعية.<sup>2</sup>

سافر أبو مدين شعيب إلى المشرق الإسلامي بهدف أداء فريضة الحج، وهناك سنحت له الفرصة للتعرف على الشيخ عبد القادر الجيلاني، مؤسس الطريقة القادرية وأحد كبار أعلام التصوف في بغداد. وقد تلقى عنه عددا كبيرا من الأحاديث النبوية في الحرم الشريف، كما ألبسه الجيلاني خرقة التصوف، رمز التلقين والانتماء إلى الطريقة.

استمرت رحلته في المشرق أكثر من عشرين سنة، قضاها في التعليم والتجوال بين مراكز العلم والصلاح. وبعد هذا المكوث الطويل، عاد إلى بلاد المغرب، وكان بذلك أول من أدخل الطريقة القادرية إلى المنطقة. وعند عودته، مر بأرض إفريقية (وهو الاسم القديم لتونس)، حيث مكث فيها مدة وتردد على بعض مدنها، ناشرا ما تعلمه من معارف صوفية وتعاليم روحية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- مواسيم يونس، حمزة عبد الصمد، أبو مدين شعيب قطب العارفين: أضواء جديدة حول حياته وحقائق حول معالم رحلته مغربا ومشرقاً. مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 06 عدد 02 جوان 2023 ص 255

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 255

<sup>3</sup>- سليمة بن حسن، صلاح الدين هدوش، التصوف في المغرب زمن الموحدين: أبو مدين شعيب ت594ه أنموذجا، مجلة الإحياء 22، العدد 31 جوان 2022 ص 772

بعد تنقله في رحلات متعددة، اختلف في مدتها وتتنوع في وجهاتها بين أعلام التصوف والعلم في مختلف الأقاليم، استقر أبو مدين شعيب في مدينة بجاية، حيث شرع هناك في تعليم الناس ونشر تعاليمه الصوفية، مبينا طريقته الروحية ومؤسس لمبادئها بين أوساط المريدين والسالكين.<sup>1</sup>

أقام أبو مدين شعيب في مدينة بجاية مدة طويلة تجاوزت خمس عشرة سنة، قضى فيها فترة من الاستقرار والاشتغال بالتعليم والتربية الروحية. وخلال هذه الإقامة، تزوج بجارية حبشية الأصل، وقد رزق منها بولد، ليجمع في تلك المرحلة بين الحياة العلمية والروحية من جهة، والاستقرار الأسري من جهة أخرى.<sup>2</sup>

### ضريحه في تلمسان:

عندما دعاه السلطان الموحي أبو يوسف يعقوب المنصور إلى القدوم إلى مدينة مراكش، استجاب للنداء وصار في طريقه إليها لكنه لم يكمل رحلته، إذ وفاته المنية أثناء توجهه في ضاحية تعرف العباد قرب مدينة تلمسان، وهناك أسلم روحه، ودفن في تلك الأرض، ولا يزال قبره فيها معروفا ومقصودا حتى يومنا هذا.<sup>3</sup>

سار به موكب السلطان حتى بلغ مدينة تلمسان، وتحديدًا في ضواحي منطقة العباد، وهناك تأمل المكان وقال لأصحابه: ما أصلحه للرقاد، وكأنه استشعر اقتراب أجله، ثم أصيب بمرض شديدًا كان سبب وفاته، فأسلم الروح هناك في سنة 594هـ، ونقل جثمانه إلى منطقة العباد حيث ووري الثرى، رحمه الله رحمة واسعة.<sup>4</sup>

### الامتدادات الروحية:

<sup>1</sup> - أبو مدين بن عدة، أبو مدين شعيب بن الحسين الغوثي (سباحة روحانية وعلمية)، مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 07، 2010 ص 158

<sup>2</sup> - بلخثير بومدين، الأبعاد النفسية للتصوف عند أبي مدين شعيب التلمساني من خلال قصائده وأقواله، مجلة الفكر المتوسطي العدد 06، سبتمبر 2013 ص 251

<sup>3</sup> - فرعون حمو، أبو مدين شعيب والأخضر بن خلوف تشريح العلاقة من خلال قصيدة الأمانة، مجلة الموروث، العدد 01، 2012 ص 97

<sup>4</sup> - بلخثير بومدين، الأبعاد النفسية للتصوف عند أبي مدين شعيب التلمساني من خلال قصائده وأقواله، مرجع سابق ص 252

### التأثير في التصوف المغربي والأندلسي:

عاصر سيدي أبي مدين في زمنه عددا من الرجال الصالحين والعلماء البارزين، الذين لا تزال أسماؤهم مذكورة إلى يومنا هذا، وقد خلد التاريخ ذكرهم بما قاموا به من أفعال جليلة، وبرزوا في ميادين العلم والتصوف، فظلت سيرهم ومآثرهم محفوظة في الذاكرة الروحية والثقافية للعالم الإسلامي.<sup>1</sup>

قام أبي مدين بتربية عدد كبير من المريدين وتكوين نخبة من العلماء والصلحاء، حيث خلف ورائه العشرات من الشيوخ الذين واصلوا نشر تعاليمه الصوفية وسلكوا طريقه في مختلف الأقطار سواء في المشرق أو في المغرب.

ويؤكد المؤرخ ابن قنفذ أن أبا مدين بلغ من التأثير الروحي والتربوي ما جعله يخرج على يده ألف تلميذ، وقد ظهرت على كل واحد منهم علامات الكرامة وبركات السلوك، مما جعل الناس يقبونه بشيخ مشايخ الإسلام وإمام العباد والزهاد، تقديرا لمكانته العالية في عالم التصوف والتقوى.<sup>2</sup>

من أبرز سمات التصوف عند أبي مدين شعيب، التزامه بالتصوف السني الأصيل، الذي يقوم على مبدئ التوازن بين الشريعة والحقيقة، حيث لا يفصل بين ظاهر الدين وباطنه. وقد اتسم منهجه بالاعتدال والانضباط، ما مكنه من تطهير الحركة الصوفية من الشوائب والانحرافات التي تسلت إليها، كما ساهم في رسم معالم واضحة لهذا المسار الروحي، وجعله أكثر التزاما بجوهر الإسلام وتعاليمه.

وبفضل هذا النهج المتوازن، حظي أبي مدين بمكانة رفيعة في الأوساط الصوفية والعلماء، حتى لقبه كثير من المترجمين له بلقب "شيخ الشيوخ" و"شيخ أهل المغرب" وقد

<sup>1</sup>- أبو مدين بن عدة، أبو مدين شعيب بن الحسين الغوثي، مرجع سابق، ص 159

<sup>2</sup>- فرعون حمو، أبو مدين شعيب والأخضر بن خلوف، مرجع سابق ص 97

وصفه بهذه الأوصاف الجليلة ابن عربي في كتابه مواقع النجوم وابن عماد الحنبلي في شذرات الذهب.<sup>1</sup>

### تأثيره على اللاحقين:

تتعدى مكانة الشيخ أبي مدين شعيب مجرد كونه من ابرز رموز التصوف في المغرب الإسلامي، وإذا تكمن أهمية الحقيقية في التأثير الكبير الذي أحدثه في وجدان أتباعه و تلامذته ، بل وحتى في المتصوفة الذين جاؤوا بعده . فقد أسهمت تعاليمه وتجربته الروحية في بلورة معالم التصوف السني ، وكأن الأفكار حضور ملموس في التوجهات الفكرية و السلوكية لأعلام كبار في هذا المجال ، من بينهم محي الدين ابن عربي ، عبد السلام بن مشيش وأبو الحسن الشاذلي .

### الشيخ محيي الدين ابن عربي:

ولد في يوم الاثنين، السابع عشر من شهر رمضان المبارك، من سنة 560 للهجرة، الموافق ليوم الثامن والعشرين من شهر يولية 1165 للميلاد، وذلك في مدينة مرسية الواقعة في بلاد الأندلس، وهي إحدى المدن التي أسسها المسلمون خلال عهد الدولة الأموية في الأندلس، فكانت من الحواضر المهمة في ذلك العصر. وكان والده علي بن محمد من كبار علماء زمانه، ممن جمعوا بين النقح في الدين ورواية الحديث الشريف، كما كان من أعلام الزهد و التقوى، ومن الذين ساروا على طريق التصوف الحق، جامعا بين العلم والعمل و الورع. بالإضافة إلى جده الذي كان من كبار قضاة الأندلس ومن علمائها المرموقين، فكان له دور بارز في الحياة العلمية والشرعية آنذاك.

وبهذا شب في كنف أسرة عرفت بالتقوى والصلاح. فقد نشأ في بيئة تسودها العزائم القوية لرجال راسخين، يسيرون بثبات في طريق الطاعة، ويشهدون انتصارات روحية وفوزا في ميادين الهداية و التقوى.

<sup>1</sup>-عبد الوهاب فرحات، أبو مدين شعيب ومكانته في التصوف المغربي، مرجع سابق ص 86

انتقل والده إلى مدينة إشبيليا، التي كانت آنذاك واحدة من أعظم الحواضر الإسلامية في الأندلس وعاصمة من عواصم الحضارة المزدهرة، و العلم الواسع، والفكر المتطور. وفي هذه المدينة العريقة، التي كانت مركزا لالتقاء العلماء والمتصوفة والفقهاء، ففضى فيها محيي الدين سنوات طفولته وشبابه الأولى، في بيئة علمية وثقافية خصبة، أسهمت في تشكيل شخصيته، وتنمية ملكاته الفكرية و الروحية، فكان لذلك أثر بالغ في مسيرته العلمية والصوفية لاحقا.<sup>1</sup>

وفي هذه المرحلة بدأ ابن عربي مسيرته الدراسية، ثم واصل تحصيله العلمي في كل من قرطبة ومرسيه. أثناء إقامته في قرطبة، التقى . وهو لا يزال شابا يافعا- . بالفيلسوف الشهير ابن رشيد، الذي يعد من أعظم فلاسفة الإسلام بل ومن أبرز فلاسفة العالم، وكان يشتغل حينها منصب قاضي قرطبة. وقد شملت دراسة ابن عربيا لفقته والحديث وسائر العلوم الدينية.

و حين بلغ ابن عربي سن الثلاثين، اتسعت رحلاته في أرجاء العالم الإسلامي خارج حدود الأندلس، فأصبح كثير التنقل بين حواضر المشرق والمغرب. ومن بين أبرز رحلاته، توجهه إلى بلاد إفريقيا حيث قصد لقاء العارف الصوفي الشهير أبي مدين شعيب بن الحسين، الذي يعد من أعلام التصوف الاتحادي في ذلك العصر. وقد تكررت تنقلات ابن عربي بين ضفتي البحر، عدوة الأندلس شمالا وعدوة إفريقيا جنوبا، مما يدل على انفتاحه على مختلف البيئات الإسلامية آنذاك.<sup>2</sup>

ذكر محيي الدين بن عربي أنه شيخه أبا مدين كان قد ترك الحلف بالله، وجعل جلسته خاصة مع الله تعالى، منتظرا ما يفتح به عليه، دون أن يسعى في الأسباب الظاهرة، وكانت له في هذا السلوك طريقة فريدة وعجيبة، وهبة من الله تعالى، إذا لم يكن يرد شيئا يقدم إليه، على خلاف ما كان عليه الشيخ عبد القادر الجيلاني. الذي كان أكثر إقبالا في الظاهرة على ما يعطي له من قبل الناس، ومع هذا فقد سئل ابو مدين ذات مرة: لم لا تمارس حرفة؟

<sup>1</sup>- محيي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، مرجع سابق ص 3

<sup>2</sup>- عمر فروخ، التصوف في الإسلام، مرجع سابق ص 169

أو لم لا تقول بوجوبها؟ فأجاب: بل أنا أقول بها. فقيل له: إن كنت تقول بها، فلماذا لا تحترف؟ فأجابهم بسؤال: أرايتم لو نزل ضيف عندكم، فما المدة التي توجبون فيها إكرامه؟ قالوا ثلاثة أيام، وبعدها يجب عليه أن يعتمد على نفسه. فقال: الله أكبر! أنصفتمونا. فنحن . الصوفية . ضيوف عند ربنا، نزلنا عليه في حضرته لامروراعابرا، بل إقامة دائمة إلى أبد الأبدين.

فصارت الضيافة حقا لنا، لأن الله عزوجل إذا دل عبده على حلق كريم ، فإنه سبحانه أولى أن يتصف به. ثم بين قائلا: إن أيام ربنا ليست كأيامنا، فقد ورد أن كل يوم عند الله كآلف سنة، ولم تنقص بعد، فحينها فقط يصح أن توجه إلينا دعوة للإحتراف. أما ونحن في طريقنا إلى الموت وفناء الدنيا، فإن فضل ضيافته باق لنا عنده سبحانه. وقد أعجب هذا الجواب من سأله، فأستحسنه وأقره.<sup>1</sup>

ويمكن التقدم بكلمات الإمام محي الدين ابن عربي، المعروف بالشيخ الأكبر، وينبغي الشبه إلى أن أقواله تحمل طابعا رمزيا ويجب فهمها في هذا الإطار. فهي تنتمي إلى الأسلوب الرمزي الذي يميز كبار أهل التصوف، ولا سيما من يدرك المنزلة الرفيعة التي بلغها ابن عربي في ميدان التصوف، حيث وصل إلى قمته.<sup>2</sup> حيث أنه لا يلتزم دائما باللغة الرمزية في كتاباته، بل يتخلى عنها في بعض الأحيان، ويلجأ إلى أسلوب الحديث المباشر، الذي تتنوع صوره بين ماهو بالغ العمق ويحتاج إلى تأمل وفهم دقيق، وبين ماهو واضح كل الوضوح وسهل الإدراك لمن يقرؤه.

سواء كان كلام ابن عربي رمزيا أو مباشرا، فإنه يحمل دائما ثقله وأهميته لدى من يعرف قدر هذا الرجل ومكانته الرفيعة، فقد بلغ ذروة المقام في عالم التصوف، وصار علما من أعلامه الذين يرجع إليهم. ومن مظاهر تقديره علما من أعلامه الذين يرجع إليهم ومن مظاهر تقديره للصالحين وأهل المقامات، أنه وضع أبا مدين في مرتبة عالية يصعب على غيره أن

<sup>1</sup>- عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، مرجع سابق ص ص 83 84

<sup>2</sup>- عبد الحلیم محمود، شيخ الشيوخ أبي مدين شعيب الغوث، مرجع سابق، ص 134

يدركها أو ينافسه فيها، بل لقبه بـ "شيخ الشيوخ"، وهو تعبير يدل على مدى إجلاله له واعترافه يعلو مقامه. وهذه الكلمات التي وصف بها أبا مدين، تكشف عن عظيم مكانته في قلب ابن عربي وعن تقديره العميق له حيث يقول عنه: "شيخنا أبو مدين من الثمانية عشر نفسا الظاهرين بأمر الله عن أمر الله، لا يرون سوى الله في الأكوان....".

هؤلاء القوم هم أهل ظهور وعلانية، يجهرون بأحوالهم ولا يخفونها ويقرون بالأسباب ويتعاملون معها، ومع ذلك فإن خرق العادات عندهم أمر مألوف ومتكرر، حتى صار كأنها من عاداتهم. وقد منحه الشيخ أبو مدين لقباً جليلاً يعبر عن مكانته الرفيعة بين أهل المعرفة والولاية، إذ دعاه بـ "سلطان العارفين"، وهو لقب لا يمنح إلا لمن بلغ الغاية في طريق العرفان، وارتقى إلى أعلى مقامه السلوك الروحي، وتحقق بالعلوم الإلهية والأسرار الربانية وإطلاق هذا اللقب من قبل أبي مدين. يدل على مدى التقدير والإجلال الذي يكنه له، وعلى مارآه فيه من نور المعرفة الحقة وعلوم الشأن بين أولياء الله.<sup>1</sup>

كما ذكر المقري في كتابه "نفع الطيب" أن الإمام محي الدين أنه يلتزم بالنصوص الشرعية على ظاهرها في مسألة الطهارة، الصلاة، الصوم وغيرها من العبادات العملية. غير أنه، في المقابل، كان يميل إلى التفسير الباطني في مجال العقائد والإيمان، حيث يغوص في المعاني العميقة والرموز الروحية، مستندا إلى إشارات خفية وتأويلات نوقية لا يدركها إلا أصحاب البصائر، مما يعكس جمعه بين ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة.<sup>2</sup>

## 2/ عبد السلام بن مشيش

ولد الشيخ الإمام المولى عبد السلام بن سيدي مشيش، وهو فريد سيدتنا فاطمة الزهراء بنت نور الوجود، في قرية الحضن التي تقع أسفل جبل العلم ضمن قبيلة بني عروس تابعة إقليم العرائش. وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته حيث رجح الشيخ عبد الله كنون

<sup>1</sup>- عمر فروخ، التصوف في الإسلام، مرجع سابق ص 176

<sup>2</sup>- عمر فروخ، التصوف في الإسلام، مرجع سابق ص 177

أنها كانت سنة 559 هـ، مستندا في ذلك إلى كونه عاش 63 سنة، بينما ذهب باحثون آخرون، مثل الأستاذ الطاهر اللهيوي والشيخ عبد الله التليدي إلى ترجيح تاريخ ولادته إلى سنة 563 هـ .

تربى الشيخ عبد السلام في رعاية والده السيد مشيش حيث نشأ منذ صغره على التربية الدينية الخالصة، في وسط أسري سده الزهد والبساطة و قساوة العيش. وقد أثرت هذه البيئة في تكوين شخصيته، فغرست في نفسه قيم التقوى، وحب الخير، والاستقامة، كما تشبع بالأخلاق الفاضلة وتمسك منذ نعومة أظفاره بتعاليم الإسلام، وبفضل هذا المسار التربوي والروحي، بلغ مراتب عالية من الصلاح والورع، حتى أجمع العلماء والعارفون في زمانه على صفاء سيرته، وزهده، وولايته.<sup>1</sup>

عندما بلغ الشيخ عبد السلام بن مشيش السنة التي توّهله لبدء مسيرته التعليمية ، رأى والده أن الوقت قد حان لتلقيه مبادئ العلم والدين ،فقام بإرساله إلى كتاب القرية ، وهو المكان الذي إعتاد أبناء المنطقة ارتياده لتعليم القراءة و الكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وذلك حرصا منه على أن ينشأ ابنه نشأة علمية متينة في إطار ديني قويم.<sup>2</sup>

تعد شخصية الشيخ عبد السلام بن مشيش من أبرز الشخصيات الصوفية التي كان لها تأثير بالغ في مسار الطرق الصوفية خلال القرن السابع الهجري. وقد لعب دورا محوريا في توسيع معالم التصوف الشيء الصحيح، ويعد من كبار أعلام التصوف في الغرب الاسلامي.

فهو الشيخ الذي تتلمذ على يديه أ بو الحسن الشاذلي، مؤسس الطريقة الشاذلية، والذي كان يعتز ويفتخر دائما بكونه من طلابه. وقد نقل ابن عباد في كتاب المفاخر العليا، عن محي الدين عبد القادر بن الحسين الشاذلي، صاحب كتاب الكواكب الزاهرة، قوله المشهور في مكانة ابن مشيش: "مقام ابن مشيش بالمغرب ، كشأن الشافعي بمصر".<sup>3</sup> في

<sup>1</sup>- محمد اعيبدو، الشيخ المولى عبد السلام بن مشيش، القطب المغرب الأقصى، ط3، 2013 دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، ص ص4,5

<sup>2</sup>- مرجع نفسه، ص7

<sup>3</sup>- عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، مرجع سابق، ص 85

إشارة إلى عظيم أثره العلمي والروحي في بلاد المغرب، كما كان للإمام الشافعي أثره البارز في أرض الكنانة.

يكفي للدلالة على علو مكانة الشيخ عبد السلام بن مشيش ورفعه شأنه في ميدان التصوف والعلم، أن تعلم بأن من تولى تربيته الروحية وتكوينه العلمي هو العارف بالله والقطب الشهير أبو مدين شعيب التلمساني، أحد أعلام التصوف في المغرب الإسلامي، فقد تتلمذ الشيخ عبد السلام على يده واستغلا من علمه وتوجيهاته، مما يدل بوضوح على عمق الجذور العلمية و الروحية التي تهل منها، والتي أسهمت في بناء شخصيته الصوفية الفذة ومكانته العالية بين الأولياء والعلماء.<sup>1</sup>

فقد كان يقول ابن مشيش في هذا: "أفضل الأعمال أربعة، المحبة لله، والرضا بقضاء الله، و الزهد في الدنيا، والتوكل على الله. هذه أربعة وأما الأربعة الأخرى فالقيام بفرائض الله، و الإجتنب لمحارم الله، والصبر على ما لا ينبغي، والورع من كل شيء يلهي."<sup>2</sup>

غير أنه ورد في كتاب طبقات الشاذلية تأليف الحسن بن الحاج محمد الكوهن ذكر لسيدنا ومولانا عبد السلام بن مشيش، الحسن بن علي، رضي الله عنهما. وقد أتى عليه بعبارات جليلة تدل على سمو مقامه وعلو منزلته، حيث وصف بأنه قطب دائرة المحققين، و أستاذ مشايخ أهل المشرق والمغرب، والسند الذي يعتمد عليه السالكون في بلوغ أرقى الغايات. كما قيل عنه إنه قطب الوجود، وبقية أهل الشهود، والغوث الذي اجتمعت فيه أسرار المعاني، ونور هذه الأمة، وسراج الله في أرضه، وصاحب العلوم الدينية والمعارف الربانية الذي جمع بين علم الشريعة وعلم الحقيقة. وقد أقر بأنه لم ير في زمنه من يضاهيه أو يداينه في هذه الصفات.<sup>3</sup>

وقد وصفه صاحب كتاب الدرّة البهية بأوصاف جليلة تدل على علو شأنه ورفعة مقامه، فقال عنه: هو القطب الأعظم، والعلم الأشهر بين أهل المعرفة، والجبل الراسخ الذي

<sup>1</sup> - مرجع نفسه، ص 82

<sup>2</sup> - مرجع نفسه، ص 85

<sup>3</sup> - محمد اعيبدو، الشيخ المولى عبد السلام بن مشيش قطب المغرب الأقصى، مرجع سابق ص 14

يحتذى به، صاحب المكانة الرفيعة والقدر العالي، وهو كالبدن المضيء في سماء الولاية، ظاهره بين كالنور، وبرهانه واضح لا يحتاج إلى تعريف أو بيان. وقد شاع ذكره في الأفق، وذاع صيته في مشارق الأرض ومغاربها، حتى أصبح معروفا عند الخاصة والعامة، لا يختلف في مقامه الرفيع اثنان من أهل الدراية. وطريقته تعد من المسالك المباركة التي تجلب الشفاء للقلوب والنفوس، وذكره يعد رحمة تهبط على كل من نطق به و استحضره في وجدانه<sup>1</sup>.

وفي الاخير نستنتج أن هذه لمحة موجزة عن العارف بالله سيدي عبد السلام بن مشيش، الذي يعد الأستاذ و المربي الروحي للإمام أبي الحسن الشاذلي، مؤسس الطريقة الشاذلية التي أصبحت من الطرق الصوفية الكبرى، والتي انتشرت بشكل واسع، خاصة في مصر. وكما أشرنا سابقا، فإن سيدي ابن مشيش قد تسلم الحرفة الصوفية، وهي رمز العهد والطريق، من العارف بالله أبي مدين شعيب التلمساني الذي كان من كبار الأولياء والمربين في عصره.<sup>2</sup>

### 3/ أبو الحسن الشاذلي :

الإمام أبو الحسن الشاذلي، هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن يوسف بن يوشع وردة بن بطل بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. وقد اتفقت كتب الطبقات والسير والتراجم على صحة هذا النسب الشريف، وأكدت جميعها انتسابه الصحيح إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما.

أما عن مولده، فقد أجمعت المصادر التاريخية التي أرخت لحياة أبي الحسن الشاذلي على أنه ولد سنة 593 هـ، وذلك في قرية غمارة الواقعة قرب مدينة سبتة في المغرب. ولم يخرج عن هذا الإجماع سوى بعض المصادر القليلة، أبرزها ماورد في كتاب اللقاء وكتاب قاجي في البدن المنينة، بالإضافة إلى ما ذكره مؤلف خلاصة الزهر، الذي أشار إلى أن

<sup>1</sup>- نفس المرجع، ص ص 15، 14.

<sup>2</sup>- عامر النجار الطرق الصوفية في مصر، مرجع سابق ص 82

ولادته كانت سنة 571 هـ، لكنه لم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه في نقل هذا التاريخ، مما يجعل قوله مخالفا لما أجمعت عليه معظم الروايات الموثوقة، وبالتالي لا يمكن اعتباره مرجحا على ما عليه جمهور المؤرخين.<sup>1</sup>

في نفس القرية الصغيرة التي ولد فيها الشيخ أبو الحسن الشاذلي، نشأ وترعرع، وتلقى تعليمه الأول حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم علوم الحديث الشريف على يد شيوخها. ومنذ نعومة أظافره، شعر الشاذلي بشوق شديد نحو علوم التصوف والسلوك الروحي فقادته هذه الرغبة إلى التوجه نحو كبار مشايخ الصوفية في عصره وكانت وجهة مدينة فاس حيث التقى هناك بالعارف بالله الشيخ عبد الله ابن حرزهم، فتلقى على يديه طريق القوم ولبس منه خرقة التصوف، وسلك على يديه مسار التربية الروحية. ويذكر أن الشيخ عبد الله بن حرزهم كان من أبرز تلاميذ القطب الصوفي الكبير سيدي أبي مدين التلمساني، ومن هنا تتجلى بصمات مدرسة أبي مدين الواضحة، ودورها البارز في تأسيس وبناء الطرق الصوفية. فقد عملت هذه المدرسة بمنهجية واعية و تخطيط محكم، حيث اختارت تلاميذها بعناية، وزودتهم بتعاليمها الروحية والسلوكية، ثم بعثتهم لنشر هذه الطريقة، حتى أصبحوا فيما بعد من كبار شيوخ الصوفية ومؤسسي طرقها وروادها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.<sup>2</sup>

لقد وضع سيدي عبد السلام بن مشيش لأبي الحسن الشاذلي خريطة طريق لحياته المستقبلية، مستشرفا ما سيستقبله من أيام بنور البصيرة و الإلهام. فعندما انتهت مدة إقامة أبي الحسن عنده قال له: " يا علي، ارتحل إلى إفريقية وأسكن بها بلدا تسمى شاذلة، فإن الله عزوجل يسميك، الشاذلي. وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس، ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة وبعد ذلك تنتقل إلى أرض المشرق وبها ترث القطابة".<sup>3</sup> وإن هذا الطريق الذي حدده لك الشيخ ابن مشيش وهو يستشرف الغيب بنور من الله تعالى، قد تحقق بكل دقة، وكأنه وضع وفق قدر محتوم لا يتخلف.

<sup>1</sup>- المرجع نفسه، ص 124

<sup>2</sup>-عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، مرجع سابق ص 124

<sup>3</sup>- عبد الحليم محمود، قضية التصوف المدرسة الشاذلية، دار المعارف 1119 كورنيش النيل، القاهرة، ط03، ص 25

إلا أن أبا الحسن الشاذلي كان غريبا في ذلك الجمع حيث استقر لفترة من الزمن في الإسكندرية بمصر. وفي أواخر حياته، شرع في رحله الحج، لكنه توفي في طريقه وتحديدا في صحراء عيذاب الواقعة على الساحل المصري للبحر الأحمر.<sup>1</sup>

أنقضت المدة التي قدرها الله تعالى للشيخ أبي الحسن الشاذلي أن يقضيها في شاذلة، وهي لم تكن إلا مرحلة إعداد وتهيئة، حيث خضع خلالها لصقل روحي وتربية باطنية عميقة. وحين اكتمل هذا الإعداد، لم يكن له يد في الانتقال من مرحلة التهيئة إلى مرحلة التنفيذ والعمل. فصدر له الأمر الإلهي بأن يفتح على آفاق العالم بعد أن ترقى في مدارج السماء الروحية، وأمر بترك العزلة والخلوة، لينزل إلى ميدان الدعوة، مؤيدا من الله، داعيا إليه عن بصيرة، ومرشدا للناس بإذن الله وأمره.<sup>2</sup>

ومن أدعيته أنه كان يقول: اللهم إن الحسنات إنما هي من فيض عطائك، والسيئات من جريان فضائك، فنسألك يارب أن تتفضل علينا بما منحت، وتتجاوز عنا فيما قدرت، حتى تمحو بفضلك ما كان من ذنوبنا بكرمك، لا أن يكون الشكر لمن أطاعك من عند نفسه، ولا أن يقبل العذر ممن عصاك بقدر منك، لأنك أنت القائل، وقولك هو الحق الذي لا ريب فيه.<sup>3</sup> ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾<sup>4</sup>

اللهم لولا أن مننت على بعطائك، لكنت من جملة الهالكين، ولولا أن قضاؤك جرى علي، لكنت من الناجين الفائزين، غير أن فضلك وستعك سبقت كل شيء. وأنت، يارب أجل من أن يطاع عبد من غير توفيقك ورضاك، وأعظم من أن يعصى أحد إلا بما سبق به قضاؤك وقدرك.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - عمر فروخ، التصوف في الإسلام، مرجع سابق ص 82

<sup>2</sup> - عبد الحليم محمود، قضية التصوف المدرسة الشاذلية، مرجع سابق ص ص 29-30

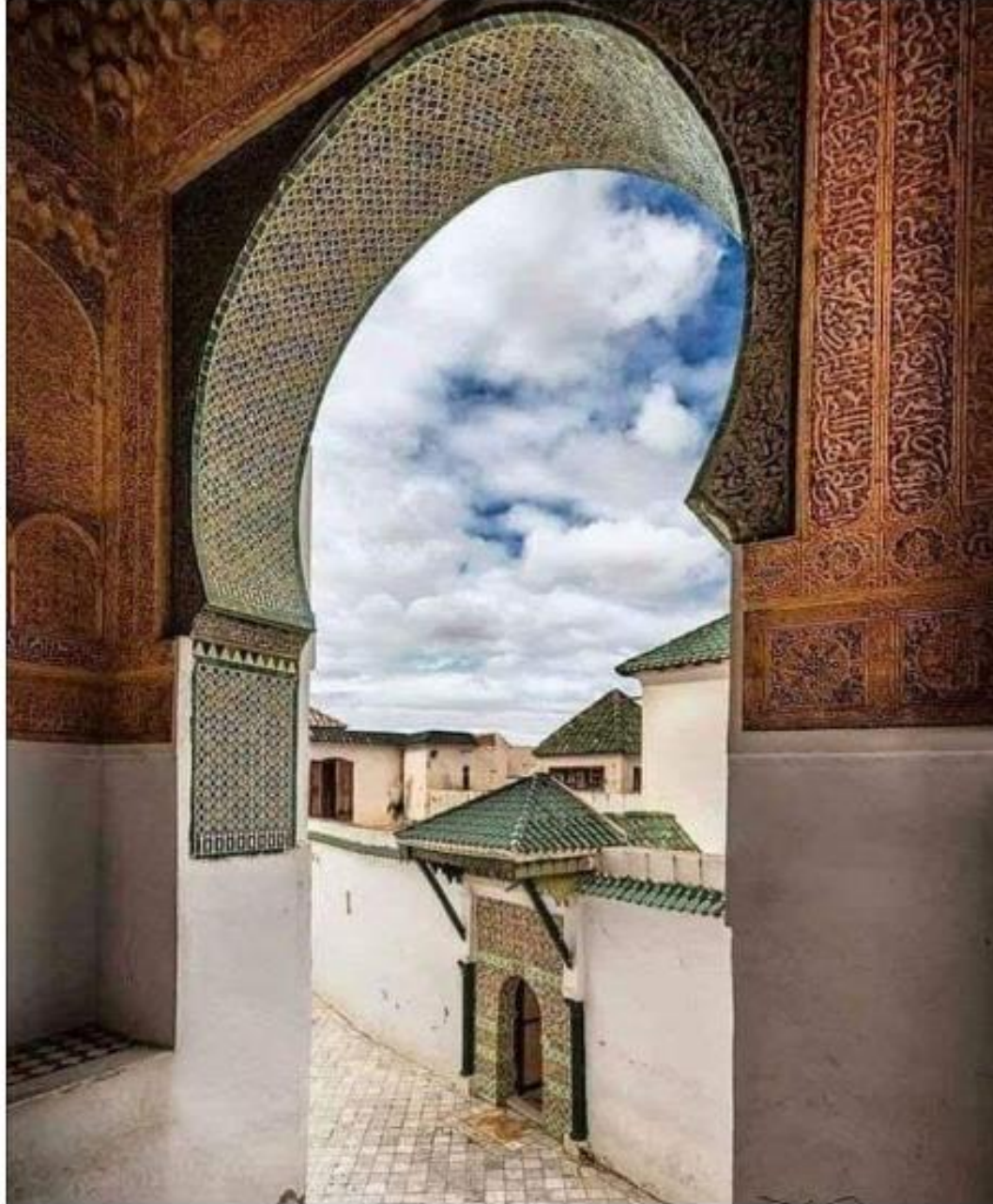
<sup>3</sup> - أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، إيقاظ الهمم في شرح الحكم الغوثية، مرجع سابق ص 595

<sup>4</sup> - سورة الأنبياء، الآية: 23

<sup>5</sup> - أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، إيقاظ الهمم في شرح الحكم الغوثية، مرجع سابق ص 595







1

الملحق رقم 1 : ضريح سيدي أبي مدين شعيب

<sup>1</sup> -رمضاني مراد ،مسجد أبي مدين شعيب التلمساني الجزائري "سيدي بومدين"، دار العيون للنشر 2024 ص9.



1

الملحق رقم 2 : مسجد سيدي أبي مدين شعيب

<sup>1</sup> - رمضاني مراد، مسجد أبي مدين شعيب التلمساني الجزائري، مرجع سابق، ص8.



الملاحق رقم 3 : مدرسة سيدي أبي مدين شعيب

<sup>1</sup> - رمضان مراد، مسجد أبي مدين شعيب التلمساني الجزائري، مرجع سابق، ص2.



1

الملاحق رقم 4 : باب مسجد سيدي أبي مدين شعيب

<sup>1</sup> - رمضاني مراد، مسجد أبي مدين شعيب التلمساني الجزائري، مرجع سابق، ص.4.



## خاتمة

بعد هذه المسيرة البحثية الدقيقة والمتأنية في عوالم التصوف كما تجلت في شخصية أبي مدين شعيب الغوث، يتّضح أن هذه الشخصية الصوفية لم تكن مجرد فقيه تقليدي أو واعظ زاهد، بل كانت روحًا متقدة حملت مشروعًا روحيًا متكاملًا، تميّز بثرائه وعمقه، وجمعه بين المعاشية الوجدانية الصادقة والتأصيل الفكري الرصين.

لقد مثّل أبو مدين تجربة صوفية متفردة شكّلت في لحظة حضارية دقيقة، وكانت إستجابة روحية ووجدانية لحالة من التصدع الاجتماعي والروحي، مما يجعل دراسته مفتاحًا لفهم التحولات التي شهدتها التصوف في الغرب الإسلامي، ولا سيما في البيئتين المغرب الإسلامي والأندلس.

وإنطلاقًا من هذه الرؤية، سعيت من خلال هذا البحث لإجابة عن الإشكالية الجوهرية المتعلقة بكيفية تجلي التصوف في شخصية أبي مدين، وما يميز تجربته من أبعاد فكرية وروحية.

وقد تم ذلك من خلال تتبع سياق النشأة الذي تأطر في مرحلة عرفت إضطرابات سياسية وفكرية ودينية، حيث كانت الحاجة ماسة إلى خطاب بديل يمنح الإنسان توازنًا داخليًا في مواجهة تقلبات الخارج. وفي هذا الإطار، برزت شخصية أبي مدين باعتبارها مجسدًا لتلك الحاجة، إذ قدّم نموذجًا للتدين القائم على تهذيب النفس، والانفتاح الروحي، والتحقق الأخلاقي.

وقد كشفت الدراسة عن عمق التأثيرات التي أسهمت في تشكيل شخصيته الصوفية، سواء من خلال احتكاكه بشيوخ المشرق الكبار، خصوصًا المنتمين إلى المدرسة القشيرية والجنيدية، أو من خلال انغماسه في العالم الروحي المغربي، وتلمذته على يد مشايخ بارزين مثل أبي يعزى وأبي الحسن الصغير. وقد كان لتلك التجارب مجتمعة أثرًا واضحًا في تشكيل وعيه الصوفي، وفي بلورة رؤيته التي جمعت بين التأمل النظري والمجاهدة العملية، فكان تصوفه تجسيدًا فعليًا للصلة العميقة بين النظر والسلوك، وبين الفكرة والممارسة .

وقد تبين من خلال تتبع أقواله ومواقفه أن أبا مدين لم يكن يرى التصوف طقوسًا شكلية أو شعارات مكررة، بل فهمه كطريق تهديبي وتربوي يرتقي بالإنسان عبر مراتب الإخلاص والمراقبة والزهد والمحبة.

لقد كان يعتبر التصوف التزامًا روحيًا لا ينفصل عن الشريعة، بل يعمق فهمها ويكمل مقاصدها، مؤمنًا بأن السير إلى الله لا يكون إلا بتحقيق الانسجام التام بين الظاهر والباطن، وبين العبادة الظاهرة والمجاهدة الباطنة .

أما أثره في الفكر الصوفي المغربي والأندلسي، فقد كان بالغًا في العمق والاتساع. فقد أسس مدرسة روحية امتد إشعاعها إلى مختلف مناطق الغرب الإسلامي، وكان له تلامذة ومريدون حملوا رسالته، أبرزهم عبد السلام بن مشيش، ممن أسهموا في ترسيخ منهجه ونقل تعاليمه. ولم يقتصر تأثيره على النخبة المثقفة أو الخاصة من المتصوفة، بل تسرب حضوره إلى الوجدان الشعبي، وبقيت أقواله ومواقفه متداولة في كتب التراجم، وفي الثقافة الشفوية، وفي الذاكرة الروحية للجماعات المغربية والأندلسية .

تُجسد سيرة أبي مدين كذلك مثالاً نادرًا على التطبيق العملي للتصوف، حيث عاش ما دعا إليه، وسلك ما نظر له. فقد كان زاهدًا في دنياه، متواضعًا في معيشته، صادقًا في سيره، عارفًا بحدود النفس ومجاهدة الهوى، لا يدعو إلا لما تمثله واقعه وسيرته.

لقد إنعكست تجربته الروحية في سلوكه التربوي مع مريديه، وفي دعوته إلى الخلوة والصمت والمحاسبة، وفي ترسيخه لقيم الصدق والنية الخالصة، وكان يؤمن أن التصوف ليس كلمات محفوظة، بل حالٌ صادقٌ يُعاش ويُترجم في حياة الإنسان وسلوكه.

وإنطلاقًا من كل ما سبق، يمكن القول إن تجربة أبي مدين لم تكن مجرد تجربة فردية معزولة، بل كانت مشروعًا روحيًا شاملًا ارتبط بسياق حضاري واجتماعي واسع، وأسهم في تأسيس تصوف مغربي له سماته الخاصة، المتجذرة في الأصالة، والمتفتحة على الكونية.

فهو لم يكن فقط صلة وصل بين التصوف المشرقي والمغربي، بل كان نقطة انطلاق حقيقية لبناء خطاب صوفي مغربي أصيل، قائم على التوازن بين المعنى والواقع، وبين الشريعة والحقيقة .

وفي ضوء هذه النتائج، تبرز الحاجة الملحة إلى إعادة قراءة تراث أبي مدين قراءة متجددة، بعيدة عن الاختزال والتعميم، وضمن رؤية منفتحة تستحضر تفاعله مع محيطه الفكري والاجتماعي، وتبرز أبعاده التربوية والحضارية، وليس فقط الوجدانية.

كما تفتح هذه الدراسة آفاقًا رحبة لمزيد من الأبحاث المعمقة حول علاقة أبي مدين بالفكر الفلسفي، وبالرموز الصوفية، وبالحركات الاجتماعية في عصره، وهي مسارات واعدة تستحق الاستكشاف والاهتمام الأكاديمي الجاد.

# قائمة المصادر والمراجع



## قائمة المصادر والمراجع

- <sup>1</sup> عبد الحليم محمود شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله دار المعارف كورنيش النيل -القاهرة- 1119
- <sup>1</sup> - عبد القادر سعود ، سليمان القرشي
- <sup>1</sup> ابن قنفذ القسنطيني أنس الفقير وعز الحقير -محمد الفاسي -أدلوف فور المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط مطبعة آكدال
- <sup>1</sup> أبي مدين شعيب ديوان أبي مدين شعيب الغوث مرجع سابق
- <sup>1</sup> يحي بوعزيز الموجز في تاريخ الجزائر ج 1 الجزائر القديمة والوسيطه ط 2 ديوان المطبوعات الجامعية 2009-11
- <sup>1</sup> سورة الأنفال الآية 60
- <sup>1</sup> سورة آل عمران الآية 200
- <sup>1</sup> يحي بوعزيز الموجز في تاريخ الجزائر الجزء الأول الجزائر القديمة والوسيطه مرجع سابق
- <sup>1</sup> أبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي "المعجب" د-صلاح الدين الهواري شركة أبناء شريف للطباعة والنشر والتوزيع المكتبة العصرية الأولى 2006م
- <sup>1</sup> يوسف أشباغ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين محمد عبد الله عنان ج 1 مكتبة الخانجي بالقاهرة ط 2 1417هـ-1996م
- <sup>1</sup> عبد الحليم محمود شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله مرجع سابق
- <sup>1</sup> ابن قنفذ القسنطيني أنس الفقير وعز الحقير مرجع سابق
- <sup>1</sup> ابن قنفذ القسنطيني أنس الفقير وعز الحقير مرجع سابق
- <sup>1</sup> أحمد توفيق التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتى جمعية أصدقاء المكتبة المغرب سنة 2005
- <sup>1</sup> عبد الحليم محمود شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله مرجع سابق
- <sup>1</sup> أحمد توفيق التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتى مرجع سابق
- <sup>1</sup> ابن قنفذ القسنطيني أنس الفقير وعز الحقير مرجع سابق

<sup>1</sup> عبد الحليم محمود شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله مرجع سابق  
<sup>1</sup> عبد القادر جيلاني الغوث الأعظم "الديوان الفارسي" ترجمة وتعليق د منال اليمني  
عبد العزيز الأفاق للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2012

<sup>1</sup> د عبد الرزاق الكيلاني الشيخ عبد القادر جيلاني الإمام الزاهد القدوة دار القلم  
للطباعة والنشر والتوزيع دمشق الطبعة الأولى 1414هـ/1994م

<sup>1</sup> الشيخ عبد المجيد بن طه الدهيبي الزعبي الجيلاني القادري الرفاعي إتحاف الأكابر  
في سيرة ومناقب الإمام محيي الدين عبد القادر الجيلاني الحسني الحسيني رضي الله  
عنه 470-521هـ دار الكتب العلمية طبعة جديدة منقحة ومزودة

<sup>1</sup> عبد الحليم محمود، شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، مرجع  
سابق

<sup>1</sup> عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها ، الرفاعي  
الجيلاني البدوي الشاذلي الدسوقي، دار المعارف الطبعة الخامسة

<sup>1</sup> سميرة رحيم، الكتابة الصوفية في أنس الوحيد ونزهة المرید لأبي مدين شعيب [مذكرة  
ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، قسم اللغة العربية وأدائها: 11\_9\_2009 م

<sup>1</sup> مسعودان محمد، تمظهرات مخاطبة الذات الإلهية في شعر أبي مدين شعيب، مجلة  
المفكر، المجلد 5، العدد2 [2021]

<sup>1</sup> مرجع سابق، سميرة رحيم، الكتابة الصوفية في أنس الوحيد ونزهة المرید لأبي مدين  
شعيب

<sup>1</sup> - مسعودان محمد، تمظهرات مخاطبة الذات الإلهية في شعر أبو مدين شعيب،  
مرجع سابق

<sup>1</sup> - ماسينوس ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية:  
إبراهيم خورشيد- عبد الحميد يونس- حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة

المدرسة ط1، 1984

<sup>1</sup> - لطف الله خوجة، موضوع التصوف، مكة المكرمة جامعة أم القرى 1432هـ،  
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، سلسلة البحوث المحكمة 1 صوفية

حضر موت

1- أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة

1- ابن علان، أحمد بن إبراهيم الصديقي الشافعي النقشبندي. شرح الحكم الغوثية، تح وتع: أحمد فريد المزيدي. ط1 القاهرة: دار الآفاق العربية، 2008

1- سورة آل عمران الآية: 31

1- ابن علان، شرح الحكم الغوثية، مرجع سابق ص 278

1- سورة الإسراء الآية: 85

1- الرسالة القشيرية للقشيري

1- شيخ الشيوخ سيدي أبو مدين التلمساني المغربي، شرح الحكم الغوثية، مرجع سابق

1- الوزير لسان الدين بن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، تح عبد القادر أحمد عطا، عبد الستار دار الفكر العربي

1- التصوف الإسلامي عند الشيخ أبي مدين شعيب مكانة ومنهاج، أ-بلعيد رجاء أ- مصطفى أوشاطر مجلة اللغة العربية، المجلد 24 العدد3 السنة الثلاثي الثالث 2022 ت-إ 31-1-2021، ت-ق 22-3-2021

1- الأبعاد النفسية للتصوف عند أبي مدين شعيب التلمساني من خلال قصائده وأقواله د- بلخثير بومدين جامعة تلمسان مجلة الفكر المتوسطي عدد خاص العدد 6 سبتمبر 2013

1- عبد الحليم محمود شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، مرجع سابق

1- الأبعاد النفسية للتصوف عند أبي مدين شعيب التلمساني من خلال قصائده وأقواله، د-بلخثير بومدين

1- معجم الوسيط ج 2

1- أشواق تريعة، الزهد في شعر أسامة بن منقذ ( أطروحة دكتوراه، جامعة بسكرة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية د،ت )

1- أميرة بريهيوم، " الزهد وبواعثه عند أبي العتاهية أبي إسحاق الألبيري"، مجلة الآفاق للعلوم، جامعة أم البواقي، د ت

- 1- أشواق تريعة، الزهد في شعر أسامة بن منقذ، مرجع سابق
- 1- أحمد التوفيق التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي مرجع سابق
- 1- سورة الحديد الآية: 20
- 1- سورة القصص الآية: 77
- 1- ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير محمد الفاسي أودلف فور
- 1- عبد الحليم محمود شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله مرجع سابق
- 1- الحضور الإلهي في شعر أبي مدين شعيب التلمساني، عروس حسام، بوحلايس سلاف، مجلة النص، المجلد 08 العدد 01 السنة 2022
- 1- عبد القادر سعود، سليمان القرشي ، ديوان أبي شعيب الغوث دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2006
- 1- شيخ الشيوخ سيدي أبو مدين التلمساني المغربي، شرح الحكم الغوثية، مرجع سابق
- 1- سورة الأعراف: الآية 92
- 1- عبد الحليم محمود شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، مرجع سابق
- 1- عبد القادر سعود، سليمان القرشي، ديوان أبي مدين شعيب الغوث مرجع سابق
- 1- الحضور الإلهي في شعر أبي مدين شعيب التلمساني، مرجع سابق
- 1- الأبعاد النفسية للتصوف عند أبي مدين شعيب التلمساني من خلال قصائده وأقواله مرجع سابق
- 1- عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر مرجع سابق
- 1- سورة الشرح الآية: 7
- 1- عامر النجار الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها مرجع سابق
- 1- شيخ الشيوخ أبي مدين التلمساني المغربي شرح الحكم الغوثية، مرجع سابق
- 1- عبد الحليم محمود شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث، مرجع سابق
- 1- سورة الحديد، الآية: 23
- 1- عبد الحليم محمود، شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث، مرجع سابق

- 1- محمد الفاسي، أدولف فور، مرجع سابق
- 1- عبد الحلیم محمود شیخ الشیوخ أبی مدین الغوث، مرجع سابق
- 1- عامر النجار، الطرق الصوفیة فی مصر نشأتها ونظمها وروادها، مرجع سابق
- 1- محمد الفاسي، أدولف فور، أنس الفقیر وعز الحقیق مرجع سابق
- 1- عبد الحلیم محمود، شیخ الشیوخ أبی مدین الغوث مرجع سابق
- 1- سورة النساء، الآیة 01
- 1- دراسات وأبحاث، رمز المرأة وأبعاده العرفانية فی مقام الحب الإلهی - المرأة فی ترجمان الأشواق لابن عربي، مجلة دراسات وأبحاث/ المجلة العربیة فی العلوم الإنسانية والإجتماعیة 12 عدد 2 أبريل 2020
- 1- عامر النجار، الطرق الصوفیة فی مصر نشأتها ونظمها وروادها، مرجع سابق
- 1- محمد الفاسي، أدولف فور أنس الفقیر وعز الحقیق، مرجع سابق
- 1- ابن عربي محیی الدین، الفتوحات المکیة. تح أحمد شمس الدین. ج 7 بیروت لبنان، دار الكاتب العالمیة، د،ت
- 1- عبد الحلیم محمود، شیخ الشیوخ أبی مدین الغوث، مرجع سابق،
- 1- سورة الفاتحة، الآیة: 05
- 1- سورة الزمر، الآیة 03
- 1- عبد الحلیم محمود، شیخ الشیوخ أبی مدین الغوث، مرجع سابق
- 1- عبد القادر سعود، سلیمان القریشی، دیوان أبی مدین شعیب الغوث، مرجع سابق
- 1- سورة الشرح، الآیة: 05
- 1- عامر النجار، الطرق الصوفیة فی مصر نشأتها ونظمها وروادها، مرجع سابق
- 1- عبد الحلیم محمود، شیخ الشیوخ أبی مدین الغوث، مرجع سابق
- 1- سورة الرعد، الآیة: 28
- 1- عبد الحلیم محمود، شیخ الشیوخ أبی مدین الغوث، مرجع سابق
- 1- ابن عربي محیی الدین، الفتوحات المکیة، تح أحمد شمس الدین، مرجع سابق
- 1- سورة یونس، الآیة: 32
- 1- ابن عربي محیی الدین، الفتوحات المکیة، تح أحمد شمس الدین، مرجع سابق

- 1- محمد الفاسي، أدلوف فور أنس الفقير وعز الحقير، مرجع سابق
- 1- عبد القادر سعود، سليمان القرشي ديوان أبي مدين شعيب الغوث، مرجع سابق
- 1- أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي الشافعي النقشبندي، شرح الحكم الغوثية لشيخ الشيوخ أبي مدين شعيب الغوث مرجع سابق
- 1- عبد الحلیم محمود، شيخ الشيوخ أبي مدين شعيب حياته ومعراجه إلى الله، مرجع سابق
- 1- سورة هود، الآية: 88
- 1- عبد الحلیم محمود، شيخ الشيوخ أبي مدين شعيب حياته ومعراجه إلى الله، مرجع سابق
- 1- سورة يوسف، الآية: 108
- 1- عبد الحلیم محمود، شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث حياته ومعراجه إلى الله، مرجع سابق
- 1- سورة الأحزاب، الآية: 39
- 1- ابن عربي محيي الدين، الفتوحات المكية، تح أحمد شمس الدين مرجع سابق
- 1- سورة الأنعام، الآية: 68
- 1- ابن عربي محيي الدين، الفتوحات المكية، تح، أحمد شمس الدين، مرجع سابق
- 1- سورة الأنعام الآية: 91
- 1- ابن عربي محيي الدين، الفتوحات المكية، تح أحمد شمس الدين، مرجع سابق
- 1- مواسيم يونس، حمزة عبد الصمد، أبو مدين شعيب قطب العارفين: أضواء جديدة حول حياته وحقائق حول معالم رحلته مغربا ومشرقا. مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 06 عدد 02 جوان 2023
- 1- سليمة بن حسن، صلاح الدين هدوش، التصوف في المغرب زمن الموحدين: أبو مدين شعيب ت594هـ أنموذجا، مجلة الإحياء 22، العدد 31 جوان 2022
- 1- أبو مدين بن عدة، أبو مدين شعيب بن الحسين الغوثي (سياحة روحانية وعلمية)، مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 07، 2010

- 1- بلختير بومدين، الأبعاد النفسية للتصوف عند أبي مدين شعيب التلمساني من خلال قصائده وأقواله، مجلة الفكر المتوسطي العدد 06، سبتمبر 2013
- 1- فرعون حمو، أبو مدين شعيب والأخضر بن خلوف تشریح العلاقة من خلال قصيدة الأمانة، مجلة الموروث، العدد 01، 2012
- 1- بلختير بومدين، الأبعاد النفسية للتصوف عند أبي مدين شعيب التلمساني من خلال قصائده وأقواله، مرجع سابق
- 1- أبو مدين بن عدة، أبو مدين شعيب بن الحسين الغوثي، مرجع سابق،
- 1- فرعون حمو، أبو مدين شعيب والأخضر بن خلوف، مرجع سابق
- 1- عبد الوهاب فرحات، أبو مدين شعيب ومكانته في التصوف المغربي، مرجع سابق
- 1- محيي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، مرجع سابق ص 3
- 1- عمر فروخ، التصوف في الإسلام، مرجع سابق
- 1- عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، مرجع سابق
- 1- عبد الحلیم محمود، شیخ الشیوخ أبي مدين شعيب الغوث، مرجع سابق
- 1- عمر فروخ، التصوف في الإسلام، مرجع سابق
- 1- عمر فروخ، التصوف في الإسلام، مرجع سابق
- 1- محمد اعبيدو، الشيخ المولى عبد السلام بن مشيش، القطب المغرب الأقصى، ط3، 2013 دار أبي الرقراق للطباعة والنشر
- 1- عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، مرجع سابق
- 1- محمد اعبيدو، الشيخ المولى عبد السلام بن مشيش قطب المغرب الأقصى، مرجع سابق
- 1- عامر النجار الطرق الصوفية في مصر، مرجع سابق
- 1- عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، مرجع سابق
- 1- عبد الحلیم محمود، قضية التصوف المدرسة الشاذلية، دار المعارف 1119 كورنيش النيل، القاهرة، ط03
- 1- عمر فروخ، التصوف في الإسلام، مرجع سابق

- 1- عبد الحليم محمود، قضية التصوف المدرسة الشاذلية، مرجع سابق<sup>1</sup> - أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى، إيقاظ الهمم في شرح الحكم الغوثية، مرجع سابق
- 1- سورة الأنبياء، الآية: 23
- 1- أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى، إيقاظ الهمم في شرح الحكم الغوثية، مرجع سابق

# فهرس المذكرة



الفهرس :

مقدمة.....	أ.....
الفصل الأول :مدخل حول أبي مدين شعيب الغوث وظروف نشأته.....	7 ..
المبحث الاول:مولده و الظروف العامة لنشأته.....	7 ..
1 /مولد أبي مدين شعيب: .....	7 ..
2 / الظروف العامة لنشأة أبي مدين شعيب: .....	9 ..
المبحث الثاني: مشايخه ومصادره الفكرية.....	13 ..
أ/ مشايخه: .....	13 ..
ب/ مصادره الفكرية:(عبد القادر الجيلاني).....	18 ..
المبحث الثالث : مؤلفات أبي مدين شعيب .....	20 ..
الفصل الثاني: الصوفية والتصوف عند أبي مدين شعيب الغوث.....	23 ..
المبحث الأول: مفهوم التصوف عند أبي مدين شعيب.....	23 ..
1/مفهوم التصوف: لغة:.....	23.....
2 / مفهوم التصوف عند أبي مدين شعيب الغوث:.....	25 .....
المبحث الثاني: سبل تأثير التصوف على أبي مدين شعيب الغوث.....	27 ..
المطلب الأول: التصوف كمنهج روحي عند أبي مدين شعيب.....	27.....
المطلب الثاني: الجمع بين الشريعة والحقيقة.....	29 .....
المطلب الثالث: البعد الأخلاقي:.....	31 .....
المطلب الرابع: رفض المغالات في الكرامات:.....	33 ....
المبحث الثالث: الأسس الروحية التي دعى لها أبي مدين شعيب الغوث (الزهد- الطهارة الروحية- الفكر والتأمل).....	34 .....
المطلب الأول: الزهد:.....	34.....
المطلب الثاني: الطهارة الروحية:.....	37.....
المطلب الثالث: الفكر والتأمل:.....	40 .....
الفصل الثالث: الصوفية بين الفكر والممارسة عند أبي مدين شعيب.....	45 .....

- 45.....المبحث الأول: الممارسات الروحية لأبي مدين شعيب
- 50.....المبحث الثاني: تعاليمه في العلاقة مع الله
- 58.....المبحث الثالث: امتداداته وتأثيره على اللاحقين

ظاهرة التصوف من أبرز الظواهر الدينية والفكرية التي عرفها العالم الإسلامي، ومن بين أهم أعلامها الذين تركوا أثرا بالغا في الفكر الصوفي، يبرز اسم أبي مدين شعيب الغوث التلمساني، الذي يعد من أكبر مشايخ التصوف في المغرب الإسلامي، وقد لعب دورا مهما في نشر الفكر الصوفي وتعاليم الزهد خلال القرن السادس هجري. فقد أسس مدرسة روحية امتد شعاعها إلى مختلف مناطق الغرب الإسلامي، وكان له تلاميذه ومريديه الذين حملوا رسالته. وتسرب حضوره إلى الوجدان الشعبي، فهو لم يكن صلة وصل بين التصوف المشرقي والمغربي، بل كان نقطة انطلاق لبناء خطاب صوفي مغاربي أصيل، قائم على التوازن بين المعنى والواقع، وبين الشريعة والحقيقة.

Sufism is one of the most prominent religious and intellectual phenomena known in the Islamic world. Among its most important figures who left a lasting impact on sufi thought is the name of abo madyanshuayb al ghwth al tilmisani, who is considered one of the greatest sufi sheikhs in the Islamic Maghreb. He played a significant role in spreading sufithought and ascetic teachings during the sixth century ah. He founded a spiritual school that extended to various regions of the Islamic west. His students and disciples carried his message, bringing his presence closer to hearts and to spiritual ecstasy. Although he did not have a direct connection with eastern and western Sufism. He was a true model of a sufi preacher, capable of balancing between meaning and reality, and between symbolism and truth.